بشاره الخوري

الأخطل الصغير

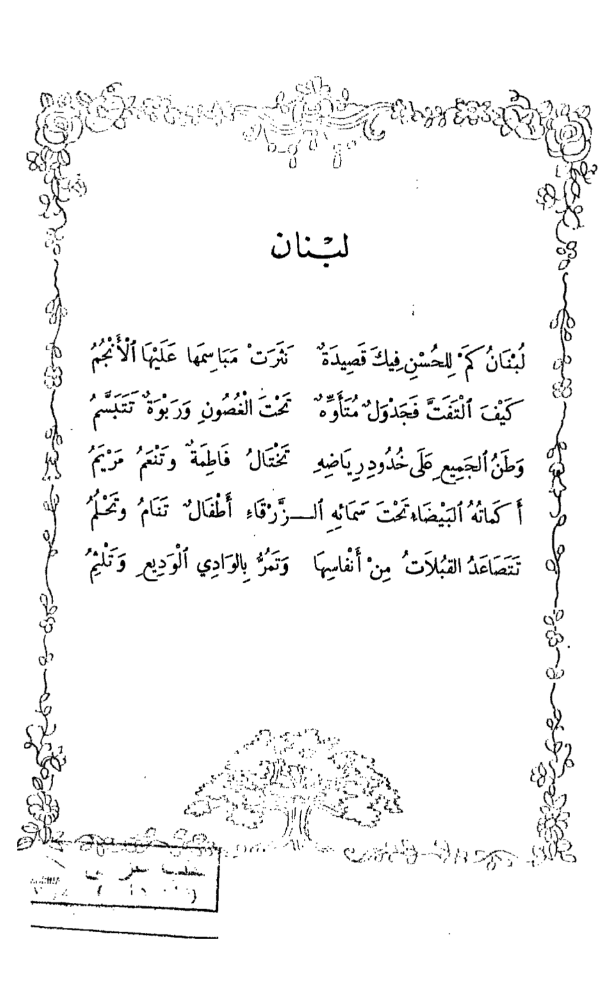
الهوى و الشباب

قصائد من الحرب العالميه الى ما بعدها

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د/ محمد سعيد الفارسي

المملكة العربية السعودية



لبنان

لُبنَانُ كَمْ لِلحُسْنِ فِيكَ قَصِيدَةٌ   نَثَرَتْ مَبَاسِمَهَا عَلَيْهَا ٱلأَنْجُمُ

كَيْفَ ٱلْتَفَتَّ فَجَدْوَلٌ مُتَأَوِّهٌ   تَحْتَ الغُصُونِ وَرَبْوَةٌ تَتَبَسَّمُ

وَطَنُ ٱلجَمِيعِ عَلَى خُدُودِ رِيَاضِهِ   تَخْتَالُ فَاطِمَةٌ وَتَنْعَمُ مَرْيَمُ

أَكَمَاتُهُ ٱلبَيْضَاءُ تَحْتَ سَمَائِهِ ٱلـــزَّرْقَاءِ   أَطْفَالٌ تَنَامُ وَتَحْلُمُ

تَتَصَاعَدُ القُبُلَاتُ مِنْ أَنْفَاسِهَا   وَتَمُرُّ بِالوَادِي ٱلْوَدِيعِ وَتَلْثِمُ



الأخطل الصّغير

لماذا تسميت بالأخطل الصغير ؟ ...

كانت الحرب العالمية الأولى . ثم كان عهد « جمال » في سوريا ولبنان وهو عهد النفي والمشنقة ، بل عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه .

وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالات شتى من البؤس ، ومفاجآت مفعمة بالمخاوف حتى كان تموز من عام ١٩١٦ فإذا أنا مطمئن قليلاً إلى نفسي آنس كثيراً بكتبي بعد طويل وحشة وأليم غربة ؛ ولقد كنت وسائر الناس خلال ذلك نتنسّم الأخبار عن البادية حيناً وعن البحر حيناً آخر ولا ندري أيدركنا السلم وفينا رمق من الحياة .

وكانت الفكرة السائدة أن الحلفاء سيبعثون الإمبراطورية العربية ، وكانت الحاجة ماسّة إلى إثارة الخواطر في البلاد تعجيلاً ليوم الخلاص وهو كل أمنية البلاد العربية في ذلك العهد .

ولم يكن ليجرؤ واحدنا ولو في الحلم أن يرسل كلمة في سبيل النهضة

ولو همساً فكيف به إذا هو شاء أن يرسل في ذلك السبيل قصيدة يترجع صداها .

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه وإبداعه في اصطياد المعاني يقودها ذليلة إلى فصيح مبانيه ؛ وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحي الفذ تتفتح له أبواب الخلائف يملؤها لذة وطرباً وإدلالاً بل يملؤها ذلك الشرف الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى كهذا الذي تقرأه له في بني مروان وعبد الملك :

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ... أَبْدَى ٱلنَّوَاجِزَ يَوْماً عَارِمٌ ذَكَرُ
ٱلْخَائِضُ ٱلْغَمْرَةَ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ ... خَلِيفَةُ ٱللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ ٱلْمَطَرُ
شُمْسُ ٱلْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ ٱلنَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا

فرأيت وأنا أدعو للدولة العربية وموقفي منها موقف الأخطل من دولة بني مروان أن أدل على حقيقة الشاعر المتنكر فلم أر «كالأخطل الصغير» أوقع به ما كانت تقطره القريحة المتألمة من شعر لم يبق لي منه إلا كبقية الوشم في ظاهر اليد .

وكيف يستطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجرؤ على

الاحتفاظ به بين أوراقي في عهد كان هذا لسان حاله :

أَلجِمْ لِسانَكَ ألْجِمِ فَالْمَوْتُ لِلمُتَكَلِّمِ
لا يَسْأَلُونكَ إنْ أُخذ تَ أثِمتَ أَمْ لَمْ تأثمِ
فَالْحَبْلُ شَرٌّ مُرَحِّبٍ وَالْعُنْقُ خَيْرُ مُسَلِّمِ
وَالسّجْنُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ وَالنَّفيُ أيسرُ مَغْنَمِ

وهي قصيدة طويلة كنت أحتال لحفظها بإثبات قوافيها متسلسلة ولكن لسوء الحظ أو لحسنه جاء النسيان عليها فطمسها من الذاكرة إلا بيتين عزيزين مهدت لهما بتصوير الرعب وأخذه بقلوب الناس حتى لا يأخذ العيون منهم الغمض إلا لماماً :

وَجَرَتْ يَنَابِيعُ الْكَرى كَتَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمِ
فَإذَا عُيُونهُمُ عَلَيْها كالطُّيُورِ الحُوَّمِ

إذن فقد عرفت كيف ومتى تسميت بالأخطل الصغير وهو حسبك .

بشاره الخوري



الهَوَى والشَّبابُ

بشاره الخوري

شاعر الهوى والجمال

بقلم الأستاذ عادل الغضبان

نفحُ الرّيحان وشُعاع الصّهباء . . .

وحمرة الشّفق وخضرة الأرز . . . .

ونعومة الحرير ورقّة خدود الورد . . .

إذا جُبلتْ بندَى الصّباح وبسمة الفجر ونفخ فيها النسيم من نفثاته كانت صورةً صادقةً لروح بشاره الخوري شاعر الهوى والجمال .

عاش حتى اليوم بتلك الروح الرقيقة الحلوة ينبض بها الشعور الحيّ الخافق فأسالها على أوتار الشعر غناءً تنتشي منه القلوب قبل الأسماع وحمل ذلك الغناء إلى قلوب الناس صوراً من جراحات الهوى وبسماته فكان لنفوسهم مهزّة حرّكت جوانح الهانئ السعيد وسكبت بلسم العزاء على فؤاد الشجيّ العميد .

ديوان « الهوى والشباب » وهو الجزء الأول من شعر الشاعر الكبير الأستاذ بشاره الخوري قطعة موسيقية تعدّدت فيها الأصوات والنغمات

ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب فهناك ما شئت من أمانٍ وأحلام وهناك ما شئت من بسمات المنى وعبسات القدَر وهناك ما شئت من حلاوة الوصال ومرارة الهجر ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب أو رقصات الزهر على ألحان الغدير وينبوع هذا كله قلبٌ شاعرٌ فياض بالشعور قدّمه صاحبه على مذبح الهوى والشباب قرباناً يفدي به جمهرة العشاق كأنه المبعوث إلى عالم الحب ليحمل عن المحبين أثقال العذاب والألم حتى إذا ضاق بالفداء ذرعاً كما ضاق به المسيح يوم طلب إلى الله أن يبعد عنه تلك الكأس نراه يجأر ويصيح :

أأنا العاشقُ الوحيدُ لتلقى تَبِعاتُ الهوَى على كَتِفَيّا

على أنها صيحة في لحظة َبرَم ويأس فالشاعر قد حمل تبعات الهوى على كتفيه وكان منذ شبابه الأول صنّاجة المحبين يلمّ أمانيهم ويجمع أشجانهم ويمرّ بها على نياط قلبه فتطلقها أناشيد تحدّث العشاق عن العشاق وهو وحده يعرف مباعثها وأغوارها ويقول في ذلك :

خَلَقَ اللهُ للهوى قُبلَةَ الرُّو حِ وراءَ الخُدودِ والأَجْيادِ
أنا أَدْرَى بالطّيرِ حينَ تغنّي كم جراحٍ سالتْ على الأَعْوادِ

وهذه الجراحُ الكامنة وراء تغريد الطيور ينطوي قلب الشاعر على مثلها فإذا سجع وغرّد فمن فؤاد خلقه الله من شعاع ودموع وما هي نغمات ترسلها العقيرة وإنما هي قطرات من دم الفؤاد :

لَيسَ ما يشجيكَ منّي نغماتٌ في فَمِي
إنّها وا لَهْفَ نفسِي قطراتٌ من دَمِي

ذلك هو الطابع الذي يمتاز به شعر الأخطل الصغير في ديوان « الهوى والشباب » .

والأخطل الصغير هو بشارة الخوري ولقد ذكر لنا في الصفحات الأولى من هذا الديوان لماذا تسمّى بالأخطل الصغير .

فللأخطل الصغير اليوم في الأمم العربية منزلة الأخطل الكبير في الدولة الأموية فما من بلد عربي إلا وله في نفوس أبنائه المكانة الرفيعة فإن لم يكن شاعر دولة بعينها أو شاعر أمير بعينه فلأنه شاعر الدول والأمراء أجمع وشاعر الأمة العربية جمعاء أنزلته من فؤادها في الصميم وجعلته فيه بين النخبة المختارة من شعراء القرن العشرين الذين تؤثرهم بالمحبة والإعجاب .

ولئن كان الأخطل الكبير يدخل على الملوك في مجالسهم ويحظى عندهم وكان الخليفة يكرّمه وأولاد الملوك والأمراء يعظّمونه ويبجّلونه لقد حظي الأخطل الصغير عند كل ملك ورئيس وأمير بَلْهَ حظوته عند شعوب العرب طرًّا وجاء تكريم الأمير عبد الله الفيصل آل سعود إياه متوّجاً لشاعريته كأنه الموشور الذي تنعكس منه أضواء التعظيم فزهي الأدب وافتخر الشعر والشعراء.

وكان للأخطل الكبير راوية اسمه جرير يروي شعره وينشره في الناس أما الأخطل الصغير فله جيوش من الرواة فقد سار شعره على لهوات المغنين يتفننون فيه تلحيناً وإنشاداً وسار على أفواه المعجبين يتناشدونه في كل مدينة وقرية وهذا منتهى ما يصبو إليه الشاعر العبقري الصدّاح.

ولكن هل تقف المشابهة بين الأخطلين عند نصرانيّتهما ومكانهما من الرؤساء. لا نظن هذا وحده هو الذي أوحى إلى بشاره الخوري بأن يتسمى بالأخطل الصغير عندما اضطرته الأحوال إلى التكتّم والاستتار فلا بد أن يكون بينهما تجاوب روحي حمل شاعر القرن العشرين على أن يختار اسم الأخطل وإننا لنلمس ذلك التجاوب في شعرهما الذي يصوّر لنا تشابه نفسيهما فكلاهما شاعر الهوى والجمال.

يتألق شعر الأخطل الكبير في كثير من قصائده بوصف شجون الفؤاد ومطارح الهوى والصبابة ولا يخلو من وصف جمال المرأة على النحو الذي كان يستسيغه ذوق العصر فالمرأة في نظره :

أَسِيلةُ مجرى الدّمعِ أمّا وشاحُها   فجارٍ وأما الحجْلُ منها فما يجري

ويظل يتعقب ذلك الجمال يبحث عنه مدفوعاً إليه بخفقان الفؤاد ونَهَم العين لا يرتوي منه ولا يشبع فكلما سكن فؤاده حركه هوى جديد وجمال جديد :

وإذا أقولُ صحوتُ عن أَدْوائِها   هاجَ الفؤادَ دُمىً أوانِسُ حُورُ

ومثل هذا التجدد في روْح القلب وريحانه يشعر به الأخطل الصغير ويسرّ به في قرارة نفسه غير أنه لا يلبث أن يصيح صيحة القوي المعتدّ بنفسه :

كفانيَ يا قلبِ ما أحمـلُ   أفي كلّ يومٍ هوًى أوّلُ

وإنه لدلال من الشاعر ليس إلا . . . فما صرخته هذه وما صرخته السابقة التي يتأفف فيها من حمل تبعات الهوى وحده إلا استفهام إنكاري خرج عن معناه للتقرير كما يقول البلاغيون فديوان « الهوى والشباب »

الزاخر بأمواج الحب والصبابة والمشعشع بالهوى والجمال يجعلنا لا نؤمن بهذا الاستفهام ويدفعنا إلى أن نعدّه دلالاً واعتداداً فبينا الأخطل الكبير يفرق ويرتعد من المشيب ونراه يكثر من ذكر مخاوفه ومن إعراض الغانيات عنه يوم حنى قوسه موتّرها وابيضّ بعد سواد اللمة الشعر نجد الأخطل الصغير يصرّ إصرار مكابر عنيد على أنه ابن بجدة الحب وأنه من الهوى « أمه وأبوه » وأنه حِلسُ هوًى وغرام لا يزدجر ولا يتوب خفّت به وثبة الشباب أم قعد به عجز المشيب فيندّد بالواهمين ويصيح :

كذبَ الواشي وخابْ من رأى الشّاعرَ تابْ
عمرهُ فجرٌ من الحبِّ وليلٌ من شرابْ

ويزيد إصراراً وتشبثاً بالهوى والجمال كلما لاحت له بسمة صفراء، تكمن وراءها أشباح الشماتة بالشباب الذاوي والصبا الهاوي فينتفض انتفاضة الأسد الجريح ويزأر بهذه الجراح الناطقة :

أنا لا أشيّعُ بالدّموعِ صَبابتي لـكن ألفُّ جَناحَها بجَناحي
من كانَ من دنياهُ ينفضُ راحَهُ فأنا على دنيايَ أقبضُ راحي
إنيَ أفدِّي كلَّ شمسِ أصيلةٍ حَذَرَ المغيبِ بألفِ شمسِ صباحِ

والأخطل الصغير لا يرى جمال المرأة حيث يراه الأخطل الكبير أسالةً في الخد وضموراً في الخصر وعَبلاً في الذراع والساق إنه يراه أولاً في الروح الرهيفة السامية السابحة في غمرات الضياء فوق مناكب الحسن فلا يعدلها في الأرض إلا أرواح الملائكة في السماء. ويوم يشاء أن ينظر إلى المرأة نظرة أهل الأرض نراه يرسمها كما رسمها شعراء العرب ولكن بأضواء وظلال جديدة وبطلاء جديد لا يكتفي فيه بألوان قوس قزح بل يتأنق فنه في المزج بين لون وآخر ويبتدع ألواناً جديدة هي من صنع عقله وقلبه وفنه فرسومه تلك مبثوثة في جوانب شتى من قصائده ولقد حلا له يوماً أن يجمعها في لوح واحد فكانت قصيدة « هند وأمها » .

ولقد يبرّز الأخطل الكبير في غير فن من فنون الشعر وقد يتجاوب وشاعرنا في كثير من نزعات النفس وخفقات الفؤاد ولكنه في الهوى والجمال تلميذ للأخطل الصغير ولا غلوّ. فراية شاعر بني أمية في هذا الميدان تقصّر عن راية ابن لبنان المشكوكة في أعلى قمة من جبل الوحي والإلهام فليس للأخطل الكبير على كثرة ما غنّى للهوى والجمال أفانين الأخطل الصغير ولا خفة روحه وليس له فيهما تلك المعاني التي تهزّ السامع

وتنتزع منه آهات الإعجاب وترقصه على حبال الطرب ولو كان أرسخ من صنين حلماً ووقاراً فليس للأخطل الكبير مثل هذا الشعر المرقص المطرب :

ما كانَ أَحْلَى قُبُلاتِ الهوَى إن كنتَ لا تذكرُ فاسأَلْ فَمَكْ

تمرُّ بي كأنَّني لم أكنْ ثغرَكَ أو صدْرَكَ أو مِعْصَمَكْ

لو مَرَّ سيفٌ بيننا لم نَكُنْ نعلَمُ هل أَجْرَى دمِي أو دَمَكْ

وليس له مثل هذه الحكمة في الحب والعشاق :

هكذا أهلُ الغزَلْ كلما خافوا المَلَلْ أَنْعَشُوه بالقُبَلْ

ولا له هذا الإغراء الذي يطيح برصانة القلوب وعفاف الشفاه :

ما للشِّفاهِ الكَسَالَى لا تزوِّدُنا فقد حَمَلْنا على أفواهِنا القِرَبا

ولا عرف أن يبلغ المحبين رسالات الهوى على هذا النحو اللذيذ الفاتن :

رسالةٌ من فَمِهِ لِفَمِها كذا رسالاتُ الهوَى تُخْتَصَرْ

وهذا هو الإعجاز في الإيجاز . وللأخطل الصغير في مثل هذه المعاني المستقاة من ينابيع الهوى والجمال ذخيرة وافرة بل كنز ثمين تجعله

أغنى شعراء الحب ثروة وأرفعهم ذروة وأوفرهم تفنّناً فهو إمام المحبين يوزّع عليهم الكاسات والأقداح ويملؤها لهم من شراب الهوى والصبابة ولا يضيره أن يكون واقعي المذهب أحياناً قاسياً على الحقيقة وعلى الحبيب معاً وأنّى يحفل بالرمز إذا هو علّ من نبع الواقع فاسمع لتلك الفراشة ماذا تقول :

فأنا بصَــدْرِ حَبيبتي كفراشةٍ في قلبِ وَرْدَهْ

فلينهل ما شاء من عطر الورد فإذا ارتوى وأراد المقيل وفّر له الهوى وساداً وثيراً ناعماً جميلاً وصفه فقال :

ورَمَى الهوَى بي فارْتَمَيْـــتُ وكانَ نهداها المخدّه

وإمامته في الحب وسلطانه الأعلى فيه وعلمه الخفّاق في شعر الحب كل هذا يلبسه هذا الثوب من الأثرة فيرشف ما يشتهي ويتّسد حيث يشتهي غير حافل بما تحت الوساد من قلب خافق ونفس مضطربة فيحيى بن بقي الأندلسي لم يكن في مثل شجاعته عندما قال :

حتى إذا مالتْ بهِ سِنَةُ الـكَرَى زحْزَحْتُهُ عني وكانَ معانِقِي
باعَدْتُهُ عن أضلعٍ تشتاقهُ كيلا ينامَ على وسادٍ خافِقِ

وفيمَ يتشجع الأخطل الصغير وعلام يترفق وهو الأمير المنشّر الأعلام في دولة الهوى والجمال فلئن عرف للحسن مقامه وجلاله إنه يقدر أيضاً للشعر قوته وسلطانه .

فإن صحّ أن يكون أحدهما التابع والآخر المتبوع فحريّ بأن يكون الشعر هو السيد المؤمّر وعلى هذا فمن حق الشعر أن يتيه دلالاً على الحسن في يديه نشر صيته وبثّ محاسنه وفي قوافيه مقاصير الخلود يسكنه إياها منعماً متفضلاً فلله شاعرنا مفاضلاً بين الشعر والحسن مكللاً جبين الشعر بغار السبق إذ يقول :

ما الحسنُ لولا الشعرُ إلا زهرةٌ　　يلهو بها في لحظتينِ النَّظَرُ
لـكنَّها إنْ أدركَتْها رقّةٌ　　من شاعرٍ أو دمعةٌ تنحدِرُ
سالتْ دماءُ الخُلْدِ في أوراقِها　　ونامَ تحتَ قدَمَيْها القَدَرُ

ولم تقف المشاكلة الروحية بين الأخطلين عند حدّ الهوى والجمال فقد تعدّتهما إلى بنت الكروم وإلى إبداع كل منهما في وصفها حيّةً ومقتولة .

قيل لأبي نواس ماذا تقول في شعر الأخطل قال هو إمامي في الخمر

فالأخطل الصغير إذن هو حفيد الأخطل الكبير ورث عنه حب وصف الخمر فكان له فيها آيات فإن كان الفضل للمتقدم فكم ترك الأول للآخر .

لئن تأثر الأخطل الصغير أبا نواس وسميّه حتى الأعشى الذي تداوى من الخمر بالخمر إنه اتبع فيها مذهب الخيّام الظاهر فإنما الحياة زجاجة خمر تحت غصن ظليل في قفر ووصال حبيب في هذا العمر الجديب وانتهاب فرص الشراب فالغد مجهول الحساب وفي هذا الغد المجهول يقول بشاره الخوري :

لم يكن لي غدٌ فأفرَغتُ كأسي ثم حطَّمتُها على شَفَتَيَّا

ولكنه لم يذهب مذهب الخيّام فيما بعد الحياة فما طلب — بعد عمر طويل فسيح — أن يكفن بأوراق الكروم وأن يغسل بالسلاف الصرف الصافي وأن يدفن تحت دالية من دوالي العنب ولا طلب من المعرجين على قبره أن يسكبوا فوق عشبه وزهره كؤوس الحميا والمدام ولا هو حاكى أبا محجن الثقفي الأسدي القائل :

إذا متُّ فادفنّي إلى جنبِ كرْمَةٍ تروّي عظامي في المماتِ عروقها

ولا تدفنّي في الفلاةِ فإنني أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقها

وأنّى له أن يطلب هذا وذاك وهو زعيمٌ أن لا عطر بعد عروس ولا هوى ولا خمر بعد الأخطل الصغير أوليس هو القائل :

وُلِدَ الهوَى والخمرُ ليلةَ مولدِي وسيُحْملانِ معي على أَلْواحِي

فماذا إذن . إنها الحياة وكفى. والحياة ما هي في عرفه . إنها « صهباء صارخة وليل ضاحي » وإنها :

سكراتٌ وما تجرُّ فلا النُّصْـــحُ بمُجْدٍ ولا الملامُ بناهِ

وإذا كان الأخطل الكبير يستعذب موت السكر ويود كلما دبّت فيه الحياة من جديد لو يعود إلى الميتة التي كان عليها ويعرب عن ميتته تلك بقوله :

شربْنا فمتْنا ميتةً جاهليّةً خلا أَنَّنا في موتِنا ليسَ نُلْحَدُ
ثلاثةُ أيامٍ فلما تنبَّهَتْ حشاشاتُ أنفاسٍ أتتنا تردَّدُ
حيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حشرٌ أتاناهُ موعِدُ
وقلنا لِساقِينا عليكَ فعُدْ بنا إلى مثلها بالأمس فالعود أحمدُ

فإن الأخطل الصغير يختصر الطريق فعلامَ يتداول الإنسانَ موتٌ فبعث ثم موت فبعث وهكذا دواليك فنعمة الحياة أن يكون العمر كله سكراً متواصلاً بل تلك هي فى رأيه حكمة الدهر :

حكمةُ الدهرِ أن نعيشَ سكارى   فاجْمعا لي الكؤوسَ والأوتارا

وحكمة الدهر هذه مذهب يريد لو ينضوي تحت لوائه جميع الناس فالنفس الخيِّرة تحب أن ينتشر الخير في جميع النفوس وهكذا نفس الشاعر عندما هبّت تغري الناس بتلك الحكمة الخالدة وتحثّهم على الشراب وهي تقول :

أنا لستُ أرضَى للنَّدامَى أن أرَى   كَسَلَ الهوَى وتثاؤبَ الأقْداحِ
أَدَبُ الشّرابِ إذا المدامةُ عربَدَتْ   في كأسِها أن لا تكونَ الصّاحي

* * *

تلك لمحات من شعر ديوان « الهوى والشباب » ووراءها أبواب تفضي بك إلى جنّات من الشعر حافلة بالورد والريحان زاهية بالغصون الناضرة والثمار اليانعة مزدانة بالجداول الرقراقة تعبّ منها البلابل والعنادل ثم تسجع وتغرد على منابر الأرائك فتطرب لغنائها آذان النسيم ومسامع النجوم .

ولكن هل اقتصر هذا الديوان على نغمات الصبا والصبابة . كلا . فقد بثّ فيه الشاعر ألحاناً أخرى نجدها حيناً كالحباب في كؤوس الهوى والجمال ونجدها حيناً آخر تستقل كل قصيدة منها بالكأس كلها وما تحويه من شراب ونفح وحباب . فهناك قصائد في الوطنية وفي العروبة وفي الرثاء طلعت كواكب ساطعة في سماء « الهوى والشباب» لتدل القارئ على أن وراءها سموات من الشعر مرصّعة بالشاعرية المتلألئة والرأي الثاقب والعاطفة المشبوبة والوطنية الصادقة والعروبة الصافية وتضرب له موعداً معها في الأجزاء التالية إن شاء الله .

وفي تلك الألحان التي جاءت تتساوق ونغمات الهوى والشباب يطالعنا أولاً لحن الوطن فالشاعر لبناني محتداً ومولداً ومنشأ فلا عجب أن يخصّ وطنه بنفثات الحب والهيام ويصوّر جماله الطبيعي تارة ثم يصوّر أحداثه السياسية تارة أخرى ويطلق الحمم في وجه المستعمر الغاصب وإليك جذوة صغيرة من شعوره الوطني الملتهب :

قالوا الصداقَةُ قلنا أينَ شاهِدُها أعندما تلفظُ الأجداثُ موتاها
أكلّما طورِدَ الشذّاذُ في بَلَدٍ أوْما العميدُ ولبنانٌ تبنّاها

ونحنُ لو نوّلوا الأرزاء بُغيتَها وأمّرُوها لكنّا من رعاياها

ولم يرزأ لبنان في جهاده الطويل بالأحداث السياسية فقط بل نكبه الدهر بكثير من الأحداث الاجتماعية عصرت قلوب أبنائه وأثارت قلب الشاعر فوصف جراحات الوطن بقواف حُمر مخضبة بدماء الضحايا فاقرأ له «أنا الجاني» و «الريال المزيف» و «المهى أهدت إليها المقلتين» لتعرف أغوار الجراح الاجتماعية التي غمس بها الشاعر ريشته ثم أسال على أسلتها ذوب المآقي والأكباد .

وهناك لحن العدالة الاجتماعية تسمع منه شكوى القلوب الرحيمة من فوارق الطبقات ولبشاره الخوري في هذا وقفات تهز القلوب وحسبنا أن نجتزئ عن البحر بالوشل ونضع أمام قلبك وبصيرتك هذين البيتين :

رَبِّ هل من نصْفَةٍ في ولدَيْنْ خَرَجا من مصدرينِ افْتَرَقا
فإذا الموسرُ يُكسَى حُلّتَيْنْ بينما المعسرُ يُكسَى الخِرَقا

وهناك لحن العروبة في مشاطرة فلسطين محنتها الدامية وفي اتحاد العرب دون البغي والظلم وتآخيهم وإن اختلفوا ديناً وعقيدة :

ضجّتِ الصحراء تشكو عُرْيَها فكسَوْناهَا زَئيراً ودُخانَا
يثربٌ والقدسُ منذُ احتلَما كَعْبتانا وهَوَى العُرْبِ هَوانَا

إلى آخر ما هناك من أصوات تنحدر من مصادر الإلهام .

* * *

بشاره الخوري في ديوانه هذا شاعر غرّيد رفع الشعر الغنائي إلى أرفع أوج واستوى على عرشه وهو فيه كذلك شاعر مصوّر نثر الصور والألواح في ثنايا شعره القصصي وشعره الغنائي فكان ديوانه متحفاً للفنون الجميلة فإن كان لا بد من مثال فلنكتف بصورة المسلول :

هذا الفتى في الأمسِ صارَ إلى رجلٍ هزيلِ الجسْمِ مُنْجَرِدِ
متجعّدِ الخدَّيْنِ من سَرَفٍ متكسّرِ الجفنَيْنِ من سهدِ
عيناهُ عالِقَتان في نفَقٍ كسراجِ كوخٍ نصفَ متّقِدِ
تهتزُّ أنملهُ فتحسبُها وَرَقَ الخريفِ أصيبَ بالبَرَدِ
يمشي بعلّتهِ على مَهَلٍ فكأنَّهُ يمشي على قَصَدِ
ويمجُّ أحياناً دماً فعلى منديلهِ قِطَعٌ من الكَبدِ

وهو في تصويره يتفنن ويبتكر فنرى منه صوراً عربية مطعمة بألوان غربية ونرى منه صوراً عربية جديدة مشرقة فقد عرف العرب الليالي النابغية وهي ليالي الهم والسهد فابتدع هو لليالي الأنس واللهو نسباً جديداً فقال :

في مثلِ ليلاتِ «الوليـــدِ» نقولُ للكاساتِ فيضي

وطاب له أن يصف الصمت فألهمته مخيلته هذا الوصف الجميل المخيف :

صمتٌ يقزُّكَ فيه خَـــبُّ النَّمْلِ في مَلَسِ الرّخامِ

وهكذا لا تخلو كل قصيدة له من صور ومن أبيات شوارد تجري مجرى الأمثال في فم الزمان وسمعه .

* * *

وبعد فليست كلمتنا هذه إلا صورة خيط رفيع من أشعّة الشاعريّة في هذا الديوان . أما الطاقة النورانية فتتجلى وتتلألأ في أضعاف هذا الديوان نفسه تشرق من سينائه لتقول للناس إن بشاره الخوري هو شاعر الهوى والجمال . . .

عادل الغضبان



تحيّة الشِّعْر

إلى حضرة صاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود

شاء صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل أن لا تظل هذه القصائد مطوية أو مبعثرة فمهرها مهراً كريماً ضمن لها البروز بالمظهر الذي ترى . كان ذلك عند مروره بلبنان وفي ذلك الاجتماع الذي ضم نخبة من أدباء البلد أقبلوا لتحية سموه وتكريمه . ولم أكن أعرف هذا الصديق الكبير وجهاً لوجه قبل تلك الساعة ولكنه حفظه الله سبق له أن شملني بصداقته وتأييده فما اجتمع في محفل ولا نزل في بلد إلا أسبغ ثناءه وأظهر إعجابه . وإنها لغيرة على الأدب تقابل بجزيل الشكر وأطيبه.

سَلْ مَغَانِي الصِّبَا وتِلْكَ الْمَلَاهِي كم تَرَشَّفْنَ من طُلىً وَشِفَاهِ
سكَرَاتٌ وما تَجرُّ فلا النُّصْـ ـحُ بِمُجْدٍ ولَا الْمَلَام بِنَاهِ
في حِمَى لِمَّةٍ مِنَ الْفَاحِمِ الْجَزْ ل وفي مَوْكِبِ الصِّبَا التَّيَّاهِ
ظُنَّ ما شِئْتَ أَنْ تَظُنَّ وَلَـكِنْ بِأَبي أنتَ لا تَسَلْنِيَ ما هي
أَخَذَتنا الْعيُونُ من كلِّ صَوْبٍ وَدَهَتنا وما أُرْعَوَيْنا الدَّوَاهي
أينَ مِنَّا لِيَنْجَلِي اللَّيْلُ عنَّا قَبَسٌ مِنْ جَبِينِ « عَبْدِ اللهِ »

سيِّدُ السَّيفِ وَٱلْيَرَاعِ فَلَا ٱلْعَزْ مُ بِناب وَلا ٱلْبَيَانُ بِواهِ
جَدُّهُ جَدُّهُ ٱلَّذي شَيَّدَ الْمُلْـــكَ عَلَى مَفرِقِ النُّجُومِ ٱلزَّوَاهي
قُبَّــةٌ مِنْ مَكارِمٍ وَجِدَارٌ مِنْ فَخَارٍ وعَتْبَةٌ مِنْ جِبَاهِ
أَنْتَ لِلذُّرْوَةِ الْمُشِعَّةِ مِنْـهُ في ٱلرُّوائَـيْنِ مِنْ شَبابٍ وَجَاهِ

غُرَّةَ الْفَجْرِ تِلْكَ غُرَّةُ عَبْدِ ٱلـــلّهِ يَا لِلتَّوَأَمِ ٱلْأَشْـباهِ
لَمْ يَرَ الْقَطْرُ وَالنَّدى مَنْ يُجارِيـــهِ وَلَا ٱلزَّهْرُ وَٱلشَّذا مَنْ يُضَاهي
يَتَفَيَّا نَشْءُ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْهُ بِلِوَاء مِن رأفَةٍ وَرَفَاهِ
كلما حَلَّ رَبْوَةً مِنْ رُبَى ٱلْمَجْـــدِ أَدَلَّتْ بِعِزَّةِ الْمُتَبَاهي

أَيُّها ٱلنَّجْمُ من سُعُودٍ رَعَاكَ ٱلـــلّهُ ، عَوَّذْتُ مَجدَكم بِٱللّهِ
هَا كَهَا طُرْفَةً يَتِيهُ بِهَا ٱلشِّعْـــرُ غَرَامَ ٱلْأَسْمَاعِ وَٱلأفواهِ
يَتَغَنّى بِهَا ٱلْمُغَنِّي فَرُوحِي بَيْنَ أَوْتَارِهِ اللِّطافِ وَآهي

صيف ١٩٥٢



إني مفارقة ابنتي أو عفتي فعلى كلا الحالين مر فراق

(صفحة ٦١)



واعروتاه ! ولم تتم نداءها   حتى ارتمت فإذا هنا ميتان

(صفحة ٧٤)

يغفـو ويَحْرسُ ثَغْرَهُ رُوْحُ البنفسَـج والخزامْ
السَّهـلُ نامَ فلا حَرَا كَ ولا هُتَافَ ولا بغَامْ

أَنا سَاهِرٌ وَالْبَحْـرُ أَخْـــرَسُ لَا هَدِيرَ وَلاَ احْتِدَامْ
كَالْمَـارِدِ الْجَبَّارِ مُنْـــطرِحٌ عَلَى صَدْرِ الرَّغامْ
فَـكأَنّهُ وَالرَّمْـلُ إِلْـــفَا صَبْوَةٍ مُنْــــذُ الْفِطَامْ
فَتَعَانَقَا عِنْـدَ الْمَنَا مِ وَمِـلْءُ ثَغْرِهِمَا ابْتِسَامْ

لا حِسَّ حَتَّى خِلْتَ أَنْ سَادَ الْحِمَامُ عَلَى الْأَنَامْ
وَحَسِبْتَ أَنْفَاسَ الْوَرَى سُجِنَتْ بِأَقْفَاصِ الْعِظَامْ
صَمْتٌ يَقُزُّكَ فِيـهِ خَـــبُّ النَّمْلِ في مَلَسِ الرَّخَامْ .

في ذٰلِكَ الصَّمْتِ الرَّهِيـــبِ وَذٰلِكَ اللّيْـلِ الْجَهَامْ
مَا كَانَ يَخْفُقُ غَيْرُ قَلْـــبٍ كَادَ يُتْلِفُهُ السَّقَامْ

قَلْبٌ شَقِيٌّ في حَنَا يَا أَضْلُعِي اخْتَارَ الْمُقَامْ
قَلْبٌ تَأَكَّلَهُ الْغَرَا مُ وَظَلَّ يَخْفُقُ لِلْغَرَامْ

مَا أَعْظَمَ الضَّوْضَاءَ يُحْدِثُهَا فُؤَادُ الْمُسْتَهَامْ
إِذْ رَاحَ يَخْفِقُ وَحْدَهُ خَفَقَانَ أَجْنِحَةِ الْحَمَامْ
فِي مِثْلِ ذَا الصَّمْتِ الرَّهِيبِ وَمِثْلِ ذَا اللَّيْلِ الْجَهَامْ

١٩١٦



عُـرْوة وَعفْـراء

من وحي « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني .

مَهْدَ الغَرَامِ وَمَسْرَحَ الْغِزْلانِ ... حَيْثُ الْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الإِيمَانِ
حَيَّتْكَ مِنْ أَرْواحِ عُرْوَةَ نَفْحَةٌ ... قُدْسِيَّةٌ كَالرُّوحِ فِي الأَبْدَانِ
أَنَا وَفْدُ أَبْنَاءِ الصَّبَابَةِ سَاجِدٌ ... مِنْ تُرْبِ عُذْرَةَ فِي أَذَلِّ مَكَانِ
أَسْتَنْزِلُ الْوَحْيَ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ ... شُعَرَاءُ عُذْرَةَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي
فَتَسُوغُ فِي أُذُنَيَّ «جَمِيلٍ» رَنَّتِي ... وَتَطِيبُ نَفْسُ « كُثَيِّرٍ » بِبَيَانِي

بَلَدَ الْهَوَى الْعُذْرِيِّ وَهْوَ كِنَايَةٌ ... عَنْ حُبٍّ أَشْرَفِ مَجْمَعٍ إِنْسَانِي
يَتَعَانَقُ الرُّوحَانِ فِيهِ صَبَابَةً ... وَيَعِفُّ أَنْ يَتَعَانَقَ الْجَسَدَانِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِعَاشِقَيْنِ فَقُلْ هُمَا ... مَلَكَانِ مُتَّصِلَانِ مُنْفَصِلَانِ
مَا دَارَ ثَمَّ سِوَى الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ ... رَاحٌ يُدِيرُ كُؤُوسَهَا الْمَلَكَانِ
سَلْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ عَنْ غُصَصِ الْهَوَى ... تَسْمَعْ جَوَابَ فَتَى الْغَرَامِ الْعَانِي

تَحْنَانَ سَاجِعَةِ الْحَمَائِمِ فِي الضُّحَى وَزَفِيرَ أَعْوَادِ الْجَحِيمِ الثاني
ولَهُ حَدِيثٌ كالدُّمُوعِ إذَا جَرَتْ جَذَبَتْ نَظائِرَها مِنَ الأَجْفَانِ
عَلَمُ الْهَوَى مِنْ آلِ عُذْرَةَ عُرْوَةٌ كَذَبَ الْأُلَى قَالُوا لَهَا عَلَمَانِ

وُلِدَ الفَتَى الْعُذْرِيُّ عُرْوَةُ بَعْدَمَا دَارَتْ بِوَالِدِهِ رَحَى الحَدَثَانِ
فَإِذَا بِعُرْوَةَ فِي مَضَارِبِ عَمِّهِ «هُصَرٍ» فَكَانَ هُنَاكَ زُغْلُولانِ
عَفْرَاءُ إبْنَتُهُ مَعَ ابْنِ شَقِيقِهِ وَكِلاهُمَا فِي الْعُمْرِ دُونَ ثَمَانِ
لَمْ يَلْبَسَا رِيشَ الْهَوَى لَكِنَّما هُوَ رِيشُ أَحْلامٍ وَرِيشُ أَمَانِي
وَإِذَا تَضُمُّهُمَا الْحُقُولُ فَإِنَّها ظَفِرَتْ بِمَائِسَتَيْنِ مِنْ رَيْحَانِ
يَتَرَاكَضَانِ بِهَا — فَإِنْ هَمَا بُوغِتَا فِيها — فَبِالْأَوْرَاقِ يَخْتَبِئَانِ
وَلَطالَمَا وَقَفَا عَلَى الْوَادِي وَقَدْ صَرَخَا هُنَاكَ لِيَلْتَقِي الصَّدَيَانِ
مُزِجَا فَلَوْ خَطَرَتْ «لِعَفْرا» فِكْرَةٌ بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةَ الشَّفَتَانِ
وَإِذَا الْتَقَى النَّظَرَانِ تَلْمَعُ أَسْطُرٌ يَعْيَا بِحَلِّ رُمُوزِها الْوَلَدَانِ
حَتَّى إذا كَبِرَا تَوَلَّى شَرْحَ مَا لَمْ يَفْهَمَا قَلْبَاهُمَا الخَفِقَانِ

فإذَا الْودَادُ هَوًى وَصَادَفَ تُرْبَةً بِكْراً فَطَابَ مَغارِسًا وَمَجانِي

وَيْحَ الْمُحِبِّ إذَا تمَلَّكَهُ الْهَوَى نَمَّتْ بِهِ عَيْنانِ فَاضِحَتانِ
عَبَثاً يُحَاوِلُ ذُو الْهَوَى كِتْمانَهُ عَبَثُ الْهَوَى يَقْوَى عَلَى الْكِتْمانِ
فَدرَى بِهِ هُصَرٌ — وَكانَ يَسُوؤُهُ مِنْ عُرْوَةَ ابْنِ شَقِيقِهِ يُتْمَانِ
وأهَمَّ يُتْمَيْ عُرْوَةٍ فِي عَيْنِهِ يُتْمُ الْغِنَى — لَوْ يَسْمَعُ الأَبَوَانِ
فَشَكا إلَيْهِ مِنْهُ حُبَّ فَتَاتِهِ شَفَتَانِ تَخْتَلِجَانِ تَخْتَذِلاَنِ
فَأَجابَهُ هُصَرٌ — وَكَانَ مُخَاتِلاً — سَتَنَالُ مَنْ تَهْوَى فَكُنْ بِأَمَانِ

نُعْمَى عَلَى كَبِدِ الْفَتَى سَقَطَتْ كَمَا سَقَطَ النَّدَى سَحَراً عَلَى حَرَّانِ
فَأَحَسَّ أَنَّ لَهُ جَنَاحَيْ طَائِرٍ وَبَدَتْ لَهُ زُهْرُ النُّجومِ دَوانِي
فَجَرَى يُرَقِّصُ عُودَهُ الشِّعْرِي عَلَى صَدْرِ الْمُرُوجِ وَمِعْصَمِ الْغُدْرَانِ
فَيَصُوغُ هَيْنَمَةَ النَّسِيمِ قَصَائِدًا وَيَرُدُّ زَمْزَمَةَ الْغَدِيرِ أَغَانِي

مَا راعَهُ إلاَّ مَقَالَةُ عَمِّهِ إنّي أرَاكَ عَنِ الْغِنَى مُتَوَاني
سِرْ لِلشَّآمِ بِمَتْجَرٍ . . . فَأَطَاعَهُ وَعَصَى الفُؤَادُ فَظَلَّ في الْأَوْطَانِ

بَيْنَا الفَتَى فِي الشَّامِ يَكْدَحُ لِلغِنَى كَانَتْ حَبِيبَتُهُ تُزَفُّ لِثَانِ
فَتَنَتْ مَحَاسِنُهَا «أُثَالَةَ» وَهْوَ مِنْ «هُصَرٍ» لَهُ نَسَبَانِ مُلْتَزِمَانِ
نَسَبُ الدِّمَاءِ وَفَوْقَهُ نَسَبُ الغِنَى نَسَبَانِ مَحْبُوبَانِ مُحْتَرمَانِ
فَأَنَالَهُ عَفْرَاءَ صَفْقَةَ تَاجِرٍ حَسِبَ البنَاتِ مَلاَبِسًا وَأَوَاني

« مَا عَامِلٌ فِي الحَقْلِ حَمَّلَ يَوْمَهُ مَا لَيْسَ يَحْمِلُ مِثْلَهُ الهَرَمَانِ »
« يَمْشي لِمَنْزِلِهِ بِنَفْسٍ مُغَالِبٍ مُرَّ الشَّقَا بِحَلاَوَةِ الْوُجْدَانِ »
« يَمْحُو بِفِكْرَتِهِ عبُوسَةَ دَهْرِهِ بِتَبَسُّمٍ فِي آلِهِ وَحَنَانِ »
« يَمْشي وَمَا هُوَ إنْ دَنَا حَتَّى رَأَى في كوخِهِ الْمَحْبُوبِ سُحْبَ دُخَانِ »
« وَرَأَى اشْتِعالَ النَّارِ في أَخْشابه وَبُكَا النِّسَا وَتَهافُتَ الشُّبَّانِ »
« فَأَحَسَّ بالْجُلَّى فَأَسْرَعَ لَيْتَهُ أَوْدَى وَلَمْ تُسْرِعْ بِهِ الْقَدَمَانِ »

« فَإذا قَرِينَتُهُ الْحَبِيبَةُ جُثَّةٌ وَ بِجَنْبِهَا وَلَدَاهُ يحْتَرِقَانِ »[1]
مَاخَطْبُ هَذَا وَهْوَ أَهْوَلُ مارَأَتْ عَيْنٌ وَمَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
بِأَشَدَّ مِنْ قَوْلِ الرُّواةِ لِعُرْوَةٍ عَفْرَاء أَمْسَتْ زَوْجَةً لِفُلانِ

خَلَعَ النحُولُ عَلَيْهِ أَفْجَعَ مَاارْتأَى داء وأَبْلَى مَا اكْتَسَاهُ عَانِ
سُقْمٌ تَشِفُّ بِهِ الضُّلُوعُ كَأَنَّهَا قِطَعُ الزُّجَاجِ بِمَائِلِ الجُدْرَانِ
فَغَدَا بِهِ مَثَلًا تَنَاقَلَهُ إِلَى أَقْصَى القَبَائِلِ أَلْسُنُ الرُّكْبَانِ

مَا حَاضِرُ الرَّوْحَاءِ[2] دُونَ مَنَالِهِ وَخْدُ السُّرَى في الأَمْعَزِ الصَّوَّانِ
لِيحُولَ دُونَ فَتَى الْهَوَى وَفَتَاتِهِ إِنَّ الْهَوَى ضَرْبٌ من الطَّيران
فَمَشَى إِلَى أَرْضِ الحبيبِ. دَلِيلُهُ « عَيْنَانِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ »
يُلْقِي القَصَائِدَ فِي الطَّرِيقِ وَحَشْوها أَنْفَاسُ مَكْلُومِ الحَشَا وَلْهانِ

(١) الأبيات التي بين هلالين عن ألفرد دي موسه .
(٢) حاضر الروحاء بلد أثالة وذلك إشارة إلى قول عروة .
ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

كالنَّعْجَةِ الْبَيْضَاء حِينَ مُرُورِها بَيْنَ الصُّخُورِ وَشَائِكِ الْعِيدَانِ
تُبْقِي عَلَى الأَشْوَاكِ مِنْ أَصْوَافِهَا خُصَلاً مُخَضَّبَةً بِأَحْمَرَ قَانِ

وَدَرَى أُثَالَةُ أَنَّ عُرْوَةَ فِي الْحِمَى وَبِمَا بِعُرْوَةَ مِنْ هَوًى وَهَوَانِ
وَأُثَالَةٌ رَجُلُ الْمَحَامِدِ بَيْتُهُ بَيْتُ الْفَخَارِ وَمُلْتَقَى الضِّيفَانِ
فَأَبَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى رَجُلاً كَعُرْوَةَ مُبْعَداً مُتَدَانِي
فَمَشَى إِلَيْهِ عَاتِباً : أَتكون فِي بَلَدِي ولَسْتَ لِخَيْمَتِي وخِوَانِي
إِنِّي عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنَّكَ نَازِلٌ عِنْدِي وَإِلَّا سَاءَنِي حِرْمَانِي
— عُذْراً فَإِنِّي رَاجِعٌ لِحَوَادِثٍ نَزَلَتْ بِنَا مَا كُنَّ فِي الْحُسْبَانِ
— لَا عُذْرَ . . . لَا . لَا عُذْرَ
— أَنظِرْنِي إِذَنْ لِغَدِ
— إِذَنْ فَجْرَ النَّهَارِ الثَّانِي
وَتَفَارَقَا فَإِذَا بِعُرْوَةَ رُجْمَةٌ تَهْوِي عَلَيْهَا انْقَضَّ صَاعِقَتَانِ
وأَشَارَ نَحْوَ أُثَالَةٍ بِجُفُونِهِ سَتَرَى الْمُرُوءَةُ أَننَا كُفؤَانِ

هَجَرَ الدِّيَارَ لِوَقْتِهِ تَسْعَى بِهِ قَدَمَانِ هَازِلَتَانِ شَاكِيَتَانِ
هَجَرَ الدِّيَارَ دِيَارَ عَفْرَاءَ الَّتِي طَبَعَتْ حُشَاشَتَهُ عَلَى الأَحْزَانِ
حَتَّى إذا «وَادي القرَى» رَحُبَتْ بِهِ رَحُبَتْ بِشِلْوٍ لُفَّ فِي أَكْفَانِ
جُثْمَانُهُ فِي الْقَبْرِ لَكِنْ رُوحُهُ أَبَدًا مُرَفْرِفَةٌ عَلَى الْوِدْيَانِ

رَنَّ النَّعِيُّ بِأُذْنِ عَفْرَاءَ فَهَلْ شَاهَدْتَ غُصْنًا مِنْ رَطِيبِ الْبَانِ
لَعِبَتْ بِهِ هُوجُ الْعَوَاصِفِ فَالْتَوَى مُتَقَصِّفًا وَأُصِيبَ بِالرَّجَفَانِ
هِيَ مِثْلُهُ حَاشَا الدُّمُوعَ وَأَنَّةً مِنْ صَدْرِ مُحْتَضَرٍ بِهِ جُرْحَانِ
فَأَتَتْ أُثَالَةَ وَالدُّمُوعُ سَوَابِحٌ فَتَلَثَّمَ الْفِضِّيُّ بِالْمَرْجَانِ
قَالَتْ : لِتَعْلَمْ أَنَّ عُرْوَةَ كَانَ لِي إِلْفًا وَنَحْنُ وَعُرْوَةٌ حَدِثَانِ
وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَاهُ لا عَنْ رِيبَةٍ يُخْزَى بِهَا رَجُلِي وَيُخْفَضُ شَانِي
هَلَّا أَذِنْتَ بِأَنْ أَزُورَ تُرَابَهُ أَفَمَا أَبِي وَأَبُو الْفَتَى أَخَوَانِ
مَنْ ذَا يُمَانِعُ أَنْ تَفِيهِ حَقَّهُ سِيرِي . فَمَا هِيَ غَيْرُ بَعْضِ ثَوَانِ

حتّى رأيْتَ بِقَبْرِ عُرْوَةَ بَانَةً مَحْنيَّةً — وَا لَهْفَتَا لِلبَانِ
وَسَمِعْتَ أَيَّةَ زَفْرَةٍ وَشَهِدْتَ أَيَّـــةَ ثَوْرَةٍ وَلَمَسْتَ أيَّ حَنَانِ
—...واعُرْوتَاهُ... ولَمْ تُتِمَّ نِدَاءَهَا حَتّى ارْتَمَتْ فَإِذا هُنَا مَيْتَانِ

ضَمُّوا الْفَتَاةَ إلَى الْفَتَى في حُفْرَةٍ مِنْ فَوْقِهَا غُصْنَانِ مُلْتَفَّانِ
رُوحَانِ ضَمَّهُمَا الْهَوَى فتعَانَقَا وَتَعَاهَدَا فَتَعَانَقَ الْكَفَنَانِ

١٩١٧



إلى امرأة

معربة حرفياً عن الشاعر الفرنسي « لويس بويه »

مَاذَا ؟ أَحَقًّا كُنْتِ بِي تَهْزَئِينْ وَكُنْتِ فِي حُبِّكِ لِي تَكْذِبِينْ
لَمْ تَخْدَعِينِي مُطْلَقاً إِنَّمَا نَفْسَكِ يَا هَذِي الَّتِي تَخْدَعِينْ
مَنَعْتُ حُبِّي عَنْكِ لَكِنَّمَا مَنَحْتُ عَفْوِي شِيمَةَ الأَكْرَمِينْ

مَهْلاً فَمِصْبَاحُكِ لَمْ يَأْتَلِقْ إِلَّا بِمَا مِنْ شُعْلَتِي تَقْبِسِينْ
مَهْلاً فَإِنِّي مِثْلُ ذَاكَ الَّذِي فِي عُرْسِ « قَانَا » أَدْهَشَ العَالَمِينْ
صَيَّرْتُ خَمْراً آسِنَ الْمَاءِ فِي نَفْسِكِ : خَمْراً يُنْعِشُ الشَّارِبِينْ
وَلِيمَةٌ كَانَتْ لَنَا فِي الْهَوَى أَكْثَرْتُ فِيهَا عَدَدَ الْمُعْجَبِينْ

هَلْ كُنْتِ فِي أَبْهَى لَيَالِي الْهَوَى أَيَّامَ كُنْتِ فِتْنَةَ النَّاظِرِينْ
هَلْ كُنْتِ إِذْ ذَاكَ سِوَى آلَةٍ أَلْحَانُهَا مِنِّي وَمِنْهَا الرَّنِينْ

أَنْشَدْتُ أَحْلَامِي عَلَى فَارِغٍ   مِنْ خَشَبِ القَلْبِ الذي تَحْمِلِينْ
كَالنَّغَمِ الرَّنَّانِ في آلَةٍ   فَارِغَةٍ تَحْتَ يَدِ الضَّارِبِينْ

إِنْ جَاءَتِ الْأَلْحَانُ تَسْبِي النُّهى   فَأَيُّ فَضْلٍ عِنْدَهَا تَدَّعِينْ
أَلَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ إِنْشَادَهَا   عَلَى المَلا مِنْ غَيْرِ مَا تُذْكَرِينْ
إِنِّي لِكَيْ أُبْدِعَ هَذَا السَّنَا   مِنْ عَدَمٍ ... وَلَمْ يَعِشْ غَيْرَ حِينْ
لَقَدْ كَفَانِي أَنَّنِي عَاشِقٌ   وَأَنَّنِي كُنْتُ مِنَ المُؤْمِنِينْ

وَالآنَ سِيرِي في الطَّرِيقِ الَّذِي   شِئْتِ فَلِي أَيْضاً طَرِيقٌ أَمِينْ
سِيرِي وَلَا تَنْسَي بِأَنْ تَسْتُرِي   إِنْ كُنْتِ تَسْتَحِيينَ، ذَاكَ الجَبِينْ
مَأْدُبَةٌ أَفْرَغْتُ كَأْسِي بِهَا   وَقُمْتُ عَنْهَا لا كَمَا تَزْعُمِينْ
فَفَضْلَةُ الكَأْسِ الَّتِي عِفْتُهَا   تَرَكْتُهَا لِلْخَدَمِ السَّاقِطِينْ

١٩١٨

مِن مآسِي الحَـرْب

وهذه مأساة ثانية وقعت سنة١٩١٧ ، وكانت الحرب قد فتكت بنصف سكان لبنان تقريباً ، بطلها متصرف جبل لبنان وضحيتها عذراء طاحت المجاعة بوالديها تاركين لها أخاً صغيراً .

أَلْمَهَى أَهْدَتْ إِلَيهَا الْمُقْلَتَينْ ... وَالظِّبَا أَهْدَت إِلَيْهَا الْعُنُقَا
فَهُمَا فِي الْحُسْنِ أَسْنَى حِلْيَتَينْ ... لِلعَذَارَى ، جَلَّ مَنْ قَدْ خَلَقَا

وَدَرَى ٱلرَّوْضُ بِتَيْنِ الْمِنْحَتَيْنْ ... وَقَدِيمًا يَعْشَقُ الرَّوْضُ الْحِسَانْ
فَـكَسَا بِالْوَرْدِ مِنْهَا الْوَجْنَتَينْ ... وَكَسَا مَبْسِمَهَا بِالْأُقْحُوَانْ
ورَمَى فِي صَدْرِها رُمَّانَـتَينْ ... مَنْ رَأَى الرُّمَّانَ فَوْقَ الْخَيْزُرَانْ
فَهُمَا فِى صَدْرِهَا كَالْمَوْجَتَينْ ... أَيُّ صَبٍّ مَا تَمنَّى الْغَرَقا ؟
أَوْ هُمَا — وَلْيَسْلَمَا — كَالتَّوْأَمَينْ ... كُلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرٍ قَلِقَا
وَرَآهَا اللَّيْلُ فَاخْتَارَ الْمَقَامْ ... — وَلَقَدْ طَابَ لَهُ — فِي شَعْرِهَا
وَصبَا الْفَجْرُ فَأَضْحَى حِينَ هَامْ ... بِهَوَاهَا دُرَّةً فِي ثَغْرِهَا

فَإِذَا « ميٌّ » كَمَا شَاءَ الْغَرَامْ مَا نَجَا ذُو صَبْوَةٍ مِنْ أَسْرِهَا
غَيْرَ أَنَّ الطُّهْرَ لِلْحَسْنَاءِ زَيْنْ أَنْزَلَتْهُ قَلْبَهَا فَاسْتَوْثَقَا
فَإِذَا خَافَا افْتِرَاقَ الصَّاحِبَيْنْ ذَكَرَا عَهْدَهُمَا فَاعْتَنَقَا

هَكَذَا فَلْتَكُنِ الغِيدُ الْحِسَانْ عِفَّةً فِي رِقَّةٍ فِي أَدَبِ
ذَلِكَ الْكَنْزُ الذِي لا يُسْتَهَانْ أَيْنَ مِنْ ذَلِكَ كَنْزُ الذَّهَبِ
وَحُلًى كَانَتْ عَلَى صَدْرِ الزَّمَانْ فَاسْتَبَاحَتْهَا نِسَاءُ العَرَبِ
فَرَوَتْ عَنْهَا لَيَالِي الرَّقْمَتَيْنْ خَيْرَ مَا يُرْوَى ، وغُزْلانُ النَّقَا
فَشَهِدْنَا مِنْ لِقَاءِ العَاشِقَيْنْ كُلَّ مَا يَجْمُلُ فِي عَيْنِ التُّقَى

هَلْ رَأَيْتَ الْوَرْدَ فِي الْوَعْرِ نَمَا فَبَدَا لِلعَيْنِ شَيْئًا عَجَبَا
وَرْدَةٌ صَارَتْ بِهَا الْأَرْضُ سَمَا عِنْدَمَا لاحَتْ عَلَيْهَا كَوْكَبَا
مَنَعَتْ مَبْسِمَهَا النَّاسَ وَمَا مَنَعَتْهُ عَنْ نُسَيْمَاتِ الصَّبَا
هَكَذَا « مَيٌّ » نَمَتْ فِي أَبَوَيْنْ خَلَّفَاهَا وَأَخَاهَا لِلشَّقَا

وَاسْتَرَاحَا بَعْدَ ذَا فِي حُفْرَتَيْنْ   وَأَبَاحَا جَفْنَ «مَيٍّ» الْأَرَقَا

رَبِّ إِنَّ الْكَوْنَ مَهْمَا عَظُمَا   هُوَ فِي عَيْنِكَ لَا يُحْسَبُ شَيْ
قُدْرَةٌ ذَلَّتْ لَدَيْهَا الْعُظَمَا   كُلُّهُمْ فَانٍ وَسُبْحَانَكَ حَيْ
أَلِأَمْرٍ ضَلَّ عَنْهُ الْحُكَمَا   شِئْتَ يَا رَبِّيَ أَنْ تُوجِدَ «مَيْ»
وَأَخَاهَا ، وَهْوَ دُونَ السَّنَتَيْنْ   لَمْ يَكَدْ يُحْسِنُ بَعْدُ النُّطْقَا
وَأَثَرْتَ الْحَرْبَ مِلْءَ الْخَافِقَيْنْ   فَغَدَا الْكَوْنُ بِهَا مُنْصَعِقَا

رَبِّ . لَوْ شِئْتَ لَمَا سَالَتْ دِمَا   أَمْرُكَ الْأَمْرُ فَمَنْ ذَا يُنْكِرُ
وَلَمَا يُتِّمَ مَنْ قَدْ يُتِّمَا   وَلَمَا اسْتَلَّ السِّلَاحَ الْعَسْكَرُ
رَبِّ . إِنْ نَحْنُ بَلَغْنَا الْهَرَمَا   أَوْ يَكُن حَانَ الَّذِي يُنْتَظَرُ
مُرْ وَلَا كُفْرَانَ ذَيْنِ الْكَوْكَبَيْنْ   يَخْرِقَا النَّامُوسَ أَوْ يَحْتَرِقَا
وَاسْتَرِحْ مِنَّا فَنَغْدُو بَعْدَ عَيْنْ   أَثَرًا لَا بُدَّ أَنْ يَنْمَحِقَا

واخْلُقِ الْإِنْسَانَ خَلْقاً رَاقِياً   واقْتُلِ البُغْضَ بِهِ والكِبْرِيَاء
واجْعَلِ الْحُبَّ إِلَهاً ثَانِياً   وَاسْجُنِ المَالَ وَلَا تُبْقِ الرِّيَاء
وَلْيَكُنْ كُلُّ امْتِيَازٍ لَاغِيَا   يَخْرُجِ النَّاسُ عَلَى حَدٍّ سَوَاء
رَبِّ هَلْ مِنْ نِصْفَةٍ فِي وَلَدَيْنْ   خَرَجَا مِنْ مَصْدَرَيْنِ افْتَرَقَا
فَإِذَا المُوسِرُ يُكْسَى حُلَّتَيْنْ   بَيْنَمَا المُعْسِرُ يُكْسَى الخِرَقَا

مَنْ تُرَى يَشْرَحُ لِي ذَنْبَ الفَقِيرْ   أَوْ تُرَى يُظْهِرُ لِي فَضْلَ الغَنِي
يَرِثَانِ البُؤْسَ، والعَيْشَ النَّضِيرْ   وَيُقِيمَانِ كَذَا فِي الكَفَنِ
أَفَهٰذِي حِكْمَةُ اللهِ القَدِيرْ ؟   لا . — وَجَلَّ اللهُ عَنْ ذَا الغَبَنِ
إِنَّمَا هذَانِ مِثْلُ البذْرَتَينْ   نُثِرَا فِي الْأَرْضِ حَتّى انْبَثَقَا
فَكَسَا المَقْدُورُ تِينِ النَّبْتَتَيْنْ   هذِهِ قُبْحاً وَهَذِي رَوْنَقَا

ضَاقَ «جُوبِيتِيرُ» صَدْراً فَانْبَرَى   يَتَمَشَّى فِي فَرَادِيسِ الجِنَانْ
فَبَدَا أَهْيَبَ شَيْءٍ مَنْظَرَا   وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ أُرْجُوَانْ



سكران والكاسات شاهدة إن الكئوس لها من العدد

(صفحة ١٠٤)

زَحْلة

في جلسة على الوادي بين إخوان الصفاء .

يَا زَحْلَ كَمْ مِنْ شَاعِرٍ لكِ عَاشِقٍ   لَوْلا ٱلَّذي تُوحِينَ لَمْ يَكُ شَاعِرَا
أَسْرَفْتِ فِي فِتَنِ ٱلْجَمَالِ كَأَنَّمَا   تَخِذَ ٱلْجَمَالُ عَلَى ذُرَاكِ مَنَابِرَا
وَٱلنَّهْرُ رُوحُ ٱلْعَاشِقِينَ وَدَمْعُهُمْ   مُلْقًى عَلَى قَدَمَيْكِ يَلْهثُ خَائِرَا
سَالَتْ جِرَاحَاتُ ٱلْهَوَى فِي صَدْرِهِ   لَيْلًا فَقَبَّلَهَا ٱلنَّسِيمُ مُحَاذِرَا
وَ«السَّهْلُ»[1] يَحْلُمُ مُنْذُ كَانَ بِزَوْرَةٍ   لَبِسَ ٱلْحُلِيَّ لَهَا نَدًى وَأَزَاهِرَا
لَو كَانَ يُمْكِنُهَا الرُّبَى لَتَسَابَقَتْ   لِأَعَزِّهَا تَسْعَى إِلَيْكِ حَوَاسِرَا
وَتَقَطَّعَتْ خُصَلُ ٱلْحِسَانِ وَنُشِّرَتْ   بَدَلَ ٱلْكُرُومِ عَلَى ٱلتِّلَالِ غَدَائِرَا

. .

قُلْ لِلْأُولَى أَحْبَبْتُ زَحْلَةَ فِيهِمِ   أَنَا لَا أَزَالُ لَهُمْ مُحِبًّا ذَاكِرَا
لَبَكَيْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَدْمُعًا   وَعَطَفْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَعْطِفُ هَاجِرَا

---

(١) سهل البقاع .

يتمثّلُ الأمسُ البعيدُ لخاطري   فأكادُ أرشفُهُ لمًى ومحاجرا
إن السنين دقائقٌ لمتيّمٍ   ذكروا له الماضي فملّ الحاضرا

يا جنّةَ الدنيا وسيّدةَ الرُّبى   هذا رسولُ الشعرِ جاءكِ زائرا
إن شئتِ شقَّ من الرياضِ صحائفاً   وأصابَ من أزهارهنَّ محابرا
وأذابَ ذرّاتِ الضياءِ قصائداً   حتى تكونَ لمعصميكِ أساورا
هل تُنبتينَ سوى النساءِ خوافراً   أو تُطلعينَ سوى الرجالِ مفاخرا
إن رقَّ شعرٌ كنتِ بيتَ قصيدِهِ   أو راقَ وجهٌ كنتِ فيهِ الناظرا

١٩٣٢



الجَبلُ المُلْهِمْ

إلى الشاعر شارل قرم وقد أهدى إلى الشاعر
ديوانه « الجبل الملهم » باللغة الفرنسية .

زَهْرَةٌ مِلءُ عُيُونِ ٱلْأَمَلِ   في ٱلرُّبَى ٱلْخَضْراءْ
نَبَتَتْ بَيْنَ أُزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقَاءْ

هِيَ حُلْمُ ٱلْغَابِ في ٱلسَّفْحِ ٱلْوَدِيعْ   سَلْوَةُ ٱلرَّاعي إذا ضَاعَ ٱلْقَطِيعْ
وَرَبيعُ ٱلشِّعْرِ إنْ مَاتَ الرَّبيعْ   عَلَّمَ ٱلْبُلْبُلَ سِحْرَ ٱلْبُلْبُلِ
لِعْبُها بَيْنَ أُزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَالسَّما ٱلزَّرْقاءْ

شَعْرُ صِنِّينَ ٱلْجَمِيلُ ٱلْأَبْيَضُ   يَفْرِشُ ٱلْأَرْضَ لَها إذْ تَرْكُضُ
وعُيُونُ ٱلْأَرزِ لَيْسَتْ تُغْمِضُ   حَائِطًا « قِبْلَتَهُ » بِالقُبَلِ
هَائِمًا بَيْنَ أُزْرِقَاقِ ٱلْجَدْوَلِ   وَٱلسَّما ٱلزَّرْقَاءْ

وَ بُنَيَّاتُ ٱلْقُرَى قُرْبَ ٱلمَغِيبِ عِنْدَمَا عُدْنَ مِنَ ٱلْـكَرْمِ ٱلحَبِيبِ
بالعناقيدِ ، سَرَتْ نَفْحَةُ طِيبِ فَإِذا ٱلزَّهْرَةُ تَرْنُو مِنْ عَلِ
وَلَها زُرْقَةُ مَاءِ ٱلْجَدْوَلِ وَٱلسَّمـا ٱلزَّرْقاءْ

إنْ يَمُرَّ ٱلْغَيْمُ أَسْرَاباً عَلَيْها يَتَّخِذْ شَـكْلاً لِيُغْرِي نَاظِرِيها
صُوَراً أَوْ لُعَباً تحلُو لَدَيْهَا تَارةً يَدْنو وَحِيناً يَعْتَـلِي
رَاقِصًا بَيْنَ ازْرِقَاقِ الْجَدْولِ وَٱلسَّمـا ٱلزَّرْقَاءْ

عِنْدما ٱلنَّحلُ ٱنثنى عَنْ ثَغْرِها سَأَلَتهُ أُمُّهُ عَنْ سِرِّها
وَٱسْمِ مَنْ تَحْمِلُهُ في صَدْرِها قَالَ مَهْ ، هٰذِهِ فَخْرُ ٱلْجَبَلِ
هٰذِهِ الزَّهْرَةُ بِنْتُ الْجَدْوَلِ وَٱلسَّمـا ٱلزَّرْقَاءْ

نَشَرَتْ في«الْغرْبِ»شَيْئاًمِنْشَذَاها فَانْتَشَى حَـتَّى انْحَنَى يَلْثِمُ فَاهَا

لَيْتَهُ يَذْكُرُ بِالرِّفْقِ «أباها»[1] وَهْوَ إنْ يَفْعَلْ وَإنْ لَمْ يَفْعَلِ
فَدَى الزَّهْرَةِ بِنْتِ الْجَدْوَلِ وَالسَّما الزَّرْقَاءْ

(١) يريد به الشرق .



سَلِي الليل

سَلِي ٱللَّيْلَ عَنْ عَيْنِي إِذَا رَابَكِ ٱلْفَجْرُ ... أَفَازَ بِهَا إِلَّاكِ وَٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ
قَسَمْتُ فُؤَادِي بَيْنَ بُؤْسِيَ وَٱلْهَوَى ... فَهٰذَا لَهُ شَطْرٌ وَهٰذَا لَهُ شَطْرُ
حَيَاتِيَ هَلْ ثَغْرُ ٱلْبَنَفْسَجِ يَفْتَرُّ ... كَعَهْدِي وَهَلْ يَجْرِي كَعَادَتِهِ ٱلنَّهْرُ
وَهَلْ يَذْكُرُ ٱلصَّفْصَافُ إِذْ نَحْنُ عِنْدَهُ ... وَفِي أُذُنِ ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ هَمْسِنَا نَقْرُ
سُقِيتُ مَرَارَاتِ ٱلْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ ... كَمِثْلِ ٱلَّذِي يَسْقِيهِ مِنْ كَفِّكِ ٱلْهَجْرُ
وَأَشْقَى شَقِيٍّ فِي ٱلْوَرَى قَلْبُ شَاعِرٍ ... نَبَا ٱلْحَظُّ عَنْهُ وَٱلْتَقَى ٱلْحُبُّ وَٱلْفَقْرُ
فَفِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْ أَمَانِيهِ مَأْتَمٌ ... وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ جَوَارِحِهِ قَبْرُ

١٩٢٣



سَلمى الكورانيّة

ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية
من كرائم السيدات في بشمزين من قضاء الكورة
في أيلول ١٩٣٣

تَعَجَّبَ ٱللَّيلُ مِنها عِندَما بَرَزَتْ ... تُسَلْسِلُ ٱلنُّورَ في عَيْنَيْهِ عَيْناها
فَظَنَّها وَهْيَ عِندَ ٱلماءِ قائِمَةٌ ... مَنارَةً ضَمَّها ٱلشَّاطي وَفَدَّاها
وَتَمْتَمَتْ نَجْمَةٌ في أُذْنِ جارَتِها ... لَمَّا رَأَتْها وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرْآها
أُنْظُرْنَ يا إِخْوَتا هٰذي شَقيقَتُنا ... فَمَنْ تُراهُ عَلَى ٱلْغَبْراءِ أَلْقاها ؟
أَتِلْكَ مَنْ حَدَّثَتْ عَنْها عَجائِزُنا ؟ ... وَقُلْنَ إِنَّ مَليكَ ٱلْجِنِّ يَهْواها
فَأَطْلَقَ ٱلْمارِدَ ٱلْجَبَّارَ عاصِفَةً ... تَغْزو ٱلنُّجُومَ فَكانَتْ مِنْ سَباياها
قَصَّتْ نُجَيْمَتُنا ٱلْحَسْناءُ بِدْعَتَها ... عن «نَجْمَةِ الشَّطِّ» وَٱلآذانُ تَرْعاها
وَكانَ بِالْقُرْبِ مِنْها كَوْكَبٌ غَزِلٌ ... يُصْغي، فَلَمَّا «رَآها» ، سَبَّحَ ٱللهَ
وَراحَ يُقْسِمُ أَنْ لا باتَ لَيْلَتَهُ ... إِلاَّ عَلَى شَفَتَيْها لاثِماً فاها

يامَلْعَبَ ٱلشَّطِ من «أنفا»[1] أتعلمُ مَن داسَتْ على صَدْرِكَ ٱلْبازِيِّ رِجْلاها
وَيا نَوَاتِئَ من مَوْجٍ وَمِنْ زَبَدٍ أثنى عَلَيْكِ وحَسْبُ ٱلْفَخْرِ نَهْداها
وَأَنتِ يا هَضْبَةً فازَتْ بِعزْلَتِها فَدَتْكِ من هَضَباتِ ٱلشِّعْرِ أسْماها

. . . .

وَخَيَّمَ ٱلصَّمْتُ في ٱلشَّاطِي سِوى لُجَجٍ بَعِيدَةٍ تَتَرامَى فِيهِ أَصْدَاها
وَنائحٍ من «عتابا»[2] فَوْقَ مُتَّكَأٍ منَ ٱلصُّخُورِ تَغَنَّاهُ شَقِيقاها
وٱلشَّطُّ في ٱلصَّيْفِ جَنَّاتٌ مُفَوَّفَةٌ كَمْ فاخَرَ ٱلْجَبَلَ ٱلعالي وكَمْ باهَى
إذا أَرَتْكَ ٱلْجِبالُ ٱلْغِيدَ كاسِيَةً فَالشَّطُّ أَذْوَقُ مِنْها حِينَ عَرَّاها .

أَمَّا سُلَيْمَى فَلا أَدْرِي أَدَمْعَتُها تِلْكَ ٱلَّتي لَمَعَتْ لي أَمْ ثَنَايَاها
وَذَلِكَ ٱلْأَبْيَضُ ٱلْمَنْشُورُ في يَدِها مِنْدِيلُها أَمْ سُطُورُ ٱلحُبِّ تَقْرَاها
كَأَنَّما ٱلبدرُ قِدْماً كانَ خادِمَها فَمُذْ أَرادَتْهُ نادَتْهُ فَلَبَّاها
تَقْرا هَواها على أَنْوارِ غُرَّتِهِ وقَدْ تُسِرُّ إِلَيْهِ بَعْضَ نَجْواها

(١) أنفا : اسم بلدة على الشط من قرى الكورة .
(٢) نوع من الغناء اللبناني .

وَما أَصابَ ٱلْهَوَى نفساً وَأَشقَاها ... إِلّا وأَلْقتْ بِأُذْنِ ٱلْبَدْرِ شكوَاها

كأَنَّهُ حَكَمُ ٱلعُشّاقِ كم وَسِعَتْ ... بَيْضاء جُبَّتِهِ شَتَّى قَضاياها

أَوْ كاهِنُ ٱلأَزَلِ ٱلحالِي بِشَيْبَتِهِ ... قَبّالُ تَوْبَتِها ماحِي خَطَاياها

أَمّا سُلَيْمى فَما زَاغتْ ولا عَثَرَتْ ... فَالْحُبُّ وأُلطُّهْرُ يُمْنَاها و يُسْراها

تَعَلَّقَتهُ طَرِيراً كالهِلاَلِ عَلى ... غُصْنٍ منَ ٱلبانِ مَاضِي ٱلعَزْمِ تيّاها

نَمَتْهُ لِلشَّرَفِ ٱلأَسْمى عُمُومَتُها ... وَنَشَّأَتْهُ على ما كانَ جَدَّاها

مَن كانتِ ٱلكُورة ٱلخَضْراء مَنْبِتَهُ ... فَلَيْسَ يُنْبِتُ إِلّا ٱلمَجْدَ وأَلجاها

. . . .

أَحَبَّها وأَحَبَّتهُ وَعاهَدَها ... أَنْ لا يُظَلِّلَهُ في ٱلحُبِّ إِلّاها

وأَنَّهُ سَوْفَ يَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدٍ ... حتى يُوَطِّئَ «لِلْإِكليلِ» مَسْرَاها

فَيَبْنِيا في ظِلاَلِ ٱلأَرزِ وَكْرَهُما ... وَيَجْرَعا من كؤُوسِ ٱلْحُبِّ أَشْهاها

وَراحَ يَقْرَعُ بابَ ٱلرِّزْقِ مُشْتَمِلاً ... بِعَزْمَةٍ سَنَّهـا عِلْمٌ وَأَمْضاها

حَتّى ٱنْثَنى وَعلى أَجْفانِهِ بَلَلٌ ... وَدَّ ٱلإِباء لَها لَوْ كانَ أَعْماها

لُبنانُ ما لِفراخ النَّسْرِ جائعَةً   وَٱلْأَرضُ أَرْضُكَ أَعْلاها وَأَدْناها
أَلِلْغَرِيبِ ٱخْتِيالٌ في مَسَارِحِها   وَلِلْقَرِيبِ ٱنزِواءٌ في زَوَاياها ؟
لا، لَمْ أَجِدْ لَكَ في ٱلبُلْدَانِ مِن شَبَهٍ   ولا لِناسِكَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَشْباها
لَوْ مَسَّ غَيْرَكَ هَذا ٱلذُّلُّ من أَسَدٍ   لَعَضَّ جَبْهَتَهُ سَيْفٌ وحَنَّاها
قالوا «ٱلصَّداقَةُ»[1] قُلْنا أَيْنَ شاهِدُها   أَعِنْدَما تَلْفِظُ ٱلأَجْداثُ مَوْتاها
أَكُلَّما طُورِدَ ٱلشُّذَّاذُ في بَلَدٍ   أَوْما «ٱلعَميدُ» ولُبْنانٌ تَبَنَّاها
ونَحْنُ لو نَوَّلوا ٱلأَرْزاءَ بُغْيَتَها   وأَمَّرُوها لَكُنَّا مِنْ رَعاياها

بَكَى فُؤَادٌ لِسُلْمَى وٱلبِلادِ معاً   وأَنْفُسٍ رَضِيَتْ في ٱلذُّلِّ مَثْواها
فَحَمَّلَ ٱلمَوْجَ مِنْ أَشْجانِهِ حُمَماً   وشَدَّ يَضْرِبُ أُولاها بِأُخْراها
وقال — وٱليأْسُ يَمْشي في جَوارِحِهِ —   دِيارُ سُلْمَى عَلَى رُغْمٍ هَجَرْناها
كأَنَّ ما غَرَسَ ٱلآباءُ مِنْ ثَمَرٍ   لِغَيْرِ أَبْنائِهِم قَدْ طابَ مَجْناها
وَما بَنَوْهُ عَلَى ٱلأَحْقابِ مِنْ أُطُمٍ   لِغَيْرِ أَبْنائِهِم قَدْ حَلَّ سُكْناها

(١) يريد بها الشاعر ما كانوا يسمونه الصداقة التقليدية بين لبنان وفرنسا .

مَنْ ظَنَّ أنَّ ٱلرَّياحينَ ٱلَّتي سُقِيَتْ دُمُوعَنا ٱلحُمْرَ قَدْ ضَنَّتْ بِرَيَّاها؟

خمسٌ مِنَ السَّنوات السُّودِ لا رجَعَتْ صَبَّتْ عَلَى رأسِ لُبْنَانٍ بَلَايَاها[1]
وَحُبُّ سُلْمَى وَرِيقٌ مِثْلُ أوّلِهِ سَقتْهُ من ذِكْرياتِ الأمْسِ أَنْدَاها
تَمْضي لِوَاجِبِها حتى إذَا ٱنصرَفَتْ فَلَيْسَ يَشْغَلُها إلَّا « فُؤَادَاها »

سَلْمَى أرَى الشَّمْسَ في خَدَّيْكِ ضاحِكةً وكُنْتِ كالغَيْمَةِ ٱلمَقْطُوبِ جَفناها
أَنَفحَةٌ من «فُؤَادٍ»؟ كِدْتُ أقرَؤُها فَفي عُيُونِكِ مَبْنَاها وَمَعْنَاها
أمْ سَوْرَةٌ مِنْ عِتَابٍ؟ أيُّ فاجِئَةٍ في لَحْظَةٍ صَبَغَ ٱلخَدَّيْنِ لَوْنَاها
قُولي فَلَيْسَ سِوَى ٱلخُلْجَانِ تَسْمَعُنَا وَرَقْرِقيها سُلَافًا فَوْقَ حَصْبَاها
أوْ فَأْمُرِي ٱلطِّرْسَ يَغْدُو للهَوَى قُبَلًا حُمْرًا تُرَصِّعُ أَجْيادًا وَأَفْوَاها

وأشْرَفَ ٱلبَدْرُ يَهْوِي نَحْوَ مَغْرِبِهِ حتَّى أتَى ٱلضِّفَّةَ ٱلأُخْرى وَحاذَاها

(١) إشارة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى .

وقَدْ تحَدَّبَ فَوْقَ ٱلْبَحْرِ يفْحَصُهُ كَغَادَةٍ – وَهْيَ تَلْهو – ضَاعَ قُرْطَاهَا
فَاسْتَوْقَفَتْهُ وَقَالَتْ – وَهْيَ كاسِفَةٌ – رِسالةً «لِفُؤَادٍ» أوْ مُؤَدَّاهَا

قُلْ لِلْحَبيبِ إذَا طَابَ ٱلبِعادُ لَهُ وَنَقَّلَ ٱلنَفْسَ مِنْ سُلمى لِلَيْلاَهَا
وَٱسْتَأْسَرَتْه وَإِخْوَانًا لَهُ سَبَقُوا مَظَاهِرٌ مِنْ رَخاءٍ ما عَرَفْنَاهَا
إِنَّا إذَا ضَيَّعَ ٱلأَوْطَانَ فِتْيَتُهَا وَٱسْتَوْثَقُوا بِسِوَاهَا ما أَضَعْنَاهَا
حَسْبُ ٱلبُنُوَّةِ إِنْ ضَاقَ ٱلرِّجالُ بِهَا أَنَّ ٱلَّتي أَرْضَعَتْها ٱلْمَجْدَ أَنْشَاهَا



زاهِـرة الرُّبى

احتفل أصدقاء الوطني فارس مشرق بإقامة تمثال له في ضهور الشوير وقد ألقيت هذه القصيدة في تلك الحفلة .

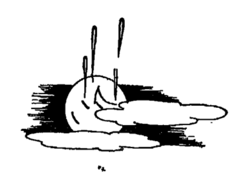
يا أُخْتَ زَاهِرةِ ٱلرُّبَى كَمْ قُبْلَةٍ مِنْ عَاشِقٍ وَتَحِيَّةٍ مِنْ شَيِّقِ
لَمْ أَنْسَ حِينَ دَخَلْتُ روضَكِ غُدْوَةً وَٱلزَّهْرُ بَيْنَ مُزَرَّرٍ وَمُشَقَّقِ
فَقَطَفْتُ أَوَّلَ قُبْلَةٍ مِنْ وَرْدَةٍ وَرَشَفْتُ أَوَّلَ مَبْسِمٍ مِنْ زَنبقِ
لِي فِيكِ عِنْدَ ٱلمُنْحَنى وَعَقِيقِهِ ذِكْرَى تُطَوِّفُ بِالجُفُونِ وَتَستَقي
غَذَّيْتُ مَاضِيها بِأَكْثَرِ مَا مَضَى مِنْ صَبْوَتِي وَٱليَوْمَ جِئْتُ بِمَا بَقِي
بِأَخي هَوًى مُتَمَاسِكٍ في أَضْلُعِي سَمْحٍ عَلَى شِيَعِ ٱلجَمَالِ مُفَرَّقِ
شُقَّتْ مَرَائِرُهُ أَسًى وَتَأَوُّهاً أَنْ فَاتَهُ ٱلحُسْنُ ٱلَّذي لَمْ يُخْلَقِ
مَا كَانَ ضَرَّ ٱللهَ لَوْ سَعَفَ ٱلصِّبَا فَأَطَالَ فِي أَجَلِ ٱلشَّبَابِ ٱلرَّيِّقِ
ذَهَبَتْ بِنُضْرَتِهِ مُكَافَحَةُ ٱلهَوَى حتى ارْعَوَى عَنْ أَغْصُنٍ لَمْ تُورِقِ
مَا زِلْتُ أَتْبَعُ ٱلجَمَالَ فَلَمْ أَجِدْ حُسْناً يَدُومُ وَجِدَّةً لَمْ تَخْلَقِ
إِلَّاكِ «يَاضِهْرَ ٱلشُّوَيْرِ» فَأَنْتِ مِنْ حَدَثِ ٱللَّيَالِي وَٱلخُلُودِ بِمَوْثِقِ

حَسَدَتْ مَحَاسِنَكَ ٱلرُّبَى فَتأَوَّهتْ   غُدْرَانُهَا فِي جَفْنِهَا ٱلْمُغْرَوْرِقِ
أَفَشَامِخٌ مِنْهَا بِمَفْرِقِ تَائِهٍ   وَلَأَنتِ أَجْمَلُ وَرْدَةٍ فِي مَفرِقِ
صَلَّى لَكِ ٱلوَادِي بِرَهْبَةِ نَاسِكٍ   وَضَبَابِ مِبْخَرَةٍ وَهَامَةِ مُطْرِقِ
وَأَبو ٱلرُّبَى صِنِّينُ قَامَ كَشَمْعَةٍ   بَيْضَاءَ تُمْعِنُ فِي ٱلسَّحَابِ وَتَرْتَقِي
يَتَوَقَّدُ ٱلنَّجْمُ ٱلسَّنِيُّ بِرَأْسِهَا   فَتَرى بَوَادِرَ دَمْعِهَا ٱلْمُتَرَقْرِقِ
لَكِ فِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومُهَا فَتَلَثَّمِي   وَعَلَى ٱلمِهَادِ زُهُورُهَا فَتَمَنْطَقِي
وَعَلَيْكِ مِنْ وَشْيِ ٱلحَضَارَةِ مِطْرَفٌ   رَفَّتْ عَلَيْهِ صِنْعَةُ ٱلمُتَأَنِّقِ
فَإِذَا وَدَعْتِ فَرِقَّةٌ وَتَعَفُّفٌ   وَإِذَا زَهَوْتِ ـ وَلَا إِخَالُ ـ فَأَخْلِقِ

إِيهٍ فَتَى لُبْنَانَ كَمْ مِنْ وَقْفَةٍ   لَكَ فِيهِ بَيْنَ مَغِيبِهِ وَٱلمَشْرِقِ
وَٱلأُفْقُ أَكْدَرُ وَٱلخُطُوبُ حَوَاسِرٌ   وَٱلظُّلْمُ يَنْتَخِبُ ٱلكِرَامَ وَيَنْتَقِي
نَصَبُوا لَكَ ٱلتِّمْثَالَ قِسْطَ مُجَاهِدٍ   مِنْ قَوْمِهِ وَشَهَادَةً لِمُحَقِّقِ
فَخَلَدْتَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَنتَ بِأُخْتِهَا   مَا زِلْتَ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقِ
إِنِّي ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ مُخَيِّمٌ   وَبَرَاعِمُ ٱلأَقْلَامِ لَمْ تَتَفَتَّقِ

أَيَّامَ أَطْيَبُ ما تُعَلِّلُنا ٱلْمُنَى تَفْرِيجُ مَكْرُوبٍ وَنَهْضَةُ مُوثَقِ
وَٱلْيَومَ نَحْنُ وَلا إِخَالُكَ جَاهِلاً أَسْلَابُ مَعْرَكَةٍ وَرِزْقُ مُوَفَّقِ
أَسْرَى وَلاَ أَطْوَاقَ فِي أَجْيَادِنا لَيْسَ ٱلْحَمَامُ جَمِيعُهُ بِمُطَوَّقِ

١٩٣١



الصِّبا والجَمال

الصِّبَا وَالْجَمَالُ مُلْكُ يَدَيْكِ ... أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجَيْكِ

نَصَبَ الحُسْنُ عرشَهُ فَسَأَلْنَا ... مَنْ تَرَاها لَهُ فَدَلَّ عَلَيْكِ

فَاسكُبِي رُوحَكِ الحَنُونَ عَلَيْهِ ... كَانْسِكابِ السَّماءِ في عَيْنَيْكِ

كلَّمَا نَافَسَ الصِّبَا بِجَمَالٍ ... عَبْقَرِيٍّ السَّنَا نَمَاهُ إِلَيْكِ

مَا تَغَنَّى الهَزَارُ إلَّا لِيُلْقِي ... زفَرَاتِ الْغَرَامِ في أُذُنَيْكِ

سَكِرَ الرَّوْضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ ... عِنْدَ مَجْرَى العَبيرِ مِنْ نَهْدَيْكِ

قَتَلَ الوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَداً مِنْـــكِ وَأَلْقَى دِماهُ في وَجْنَتَيْكِ

وَالفَرَاشَاتُ مَلَّتِ الزَّهْرَ لَمَّا ... حَدَّثتها الأَنْسَامُ عَنْ شَفَتيكِ

رَفَعُوا مِنْكِ لِلْجَمَالِ مِثَالاً ... وانْحَنوْا خُشَّعًا عَلَى قَدَمَيْكِ

١٩٣٤



قصت نجيمتنا الحسناء بدعتها   عن نجمة الشط والآذان ترعاها
وكان بالقرب منها كوكب غزل   يصغي فلما رآها سبح الله

(صفحة ١١٩)

جَفْنُه عَلّم الغَـزَل

جَفْنُهُ عَلَّمَ ٱلْغَزَلْ وَمِنَ ٱلعِلْمِ ما قَتَلْ
فَحَـرقْنَا نُفُوسَـــــنَا في جَحِيمٍ مِنَ ٱلْقُبَلْ

وَنَشَدْنَا وَلَمْ نَزَلْ حُلُمَ ٱلحُبِّ وَٱلشَّبَابْ
حُلُمَ ٱلزَّهْرِ وَٱلنَّدَى حُلُمَ ٱللَّهْوِ وَٱلشَّرَابْ

هَاتِهَا مِنْ يَدِ الرِّضَى جُرْعَةً تَبْعَثُ ٱلجُنُونْ
كَيْفَ يَشْكُو مِنَ ٱلظَّمَا مَنْ لَهُ هٰـذِهِ ٱلعُيُونْ

يَا حَبِيبِي أَكُلَّمَا ضَمَّنَا لِلْهَوَى مَكَانْ
أَشْعَلوا ٱلنَّـــارَ حَوْلَنَـا فَغَدَوْنا لَهَا دُخَانْ

قُلْ لِمَنْ لامَ في الهَوَى   هٰكَذا الحُسْنُ قَدْ أَمَرْ
إنْ عَشِقْنَا فَعُذْرُنَا   أَنَّ في وَجْهِنَا نَظَرْ



يا خيال الحبيب

جُزْتَ فِي ٱلْمَوْتِ وٱلحَيَاةِ عَلَيَّا ... وَمَحَوْتَ ٱلضِّيَاءَ مِنْ نَاظِرَيَّا
كُنْتَ أُنْشُودَةَ ٱلْخُلُودِ عَلَى ثَغْـــرِي وَهَمْسَ ٱلسَّمَاءِ فِي أُذُنَيَّا
كُنْتَ دُنْيَايَ فاضْمَحَلَّتْ وَحُلْماً ... مِنْ شُعَاعِ ٱلصِّبَا قَضَى حِينَ حَيَّا
يَا خَيَالَ ٱلْحَبِيبِ لَمْ تُبْقِ مِنِّي ... غَيْرَ حُزْنِي وَغَيْرَ دَمْعِيَ حَيَّا
أَمْسَحُ ٱلقَبْرَ بالْجُفُونِ وَفَاءً ... لِغَرَامِي وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّا
أإذا رُمْتُ قُبْلَةً مِنْ حَبِيبِي ... عَثَرَتْ قَبْلَ لَمْسِهَا شَفَتَيَّا
ضَحِكَ ٱلْحَظُّ مَرَّةً لِيَ فِي ٱلْحُلْـــمِ فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ لَمْ أَرَ شَيَّا

١٩٣١



بأبي أنتَ وأمّي

إسْقِنِيها بِأبي أنْتَ وَأمّي لا لِتَجْلُو الْهَمَّ عنِّي، أنْتَ هَمّي

إملإِ الكأسَ ابْتِسَامَا وَغَرَامَا

فَلَقَدْ نَامَ النَّدَامى وَالْخُزَامَى

زَحَمَ الصُّبْحُ الظَّلاما فَالاَمَا

قُمْ نُنَهْنِهْ شَفَتَيْنَا، وَنُذَوِّبْ مُهْجَتَيْنَا، رَضِيَ الْحُبُّ عَلَيْنَا

يَا حَبِيبي

بِأبِي أنْتَ وَأمّي، إسْقِنِيهَا لاَ لِتَجْلُو الهمَّ عَنِّي، أنْتَ هَمّي

غَنِّني واسْكُبْ غِناكْ وَلِمَاكْ

فِي فَمِي، فدَّيْتُ فَاكْ هَلْ أرَاكْ

وَعَلَى قَلْبي يَدَاكْ ورِضَاكْ

هَـكَذَا أَهْلُ الْغَزَلْ   كُلَّمَا خَافوا المَلَلْ   أَنْعَشُوهُ   بِالْقُبَلْ

يَا حَبِيبِي

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِسْقِنِيهَا   لاَ لِتَجْلُو الْهَمَّ عَنِي ، أَنْتَ هَمِّي

صُبَّهَا مِنْ شَفَتَيْكْ   فِي شَفَتَيَّا

ثُمَّ غَرِّقْ نَاظِرَيْكْ   فِي نَاظِرَيَّا

وَاخْتَصِرْهَا مَا عَلَيْكْ   أَوْ عَلَيَّا

إِنْ تَكُنْ أَنْتَ أَنَا   وَجَعَلْنَا الزَّمَنَا   قَطْرَةً فِي كَأْسِنَا

يَا حَبِيبِي

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِسْقِنِيهَا   لاَ لِتَجْلُو الْهَمَّ عَنِّي ، أَنْتَ هَمِّي



وقد يغنّي الفتى

سَقْياً لِأَيَّامِ لُبْنَانَ الَّتي سَلَفَتْ كَأَنَّها سَكَرَاتُ ٱلوَصْلِ في ٱلحُلُمِ
كَانَتْ شَبَاباً وَآمَالاً مُجَنَّحَةً رَمَى بِها ٱلدَّهْرُ بَيْنَ ٱليَأْسِ وَٱلهَرَمِ
ياصَارِفَ ٱلكأْسِ عَنَّا لاتَضِنَّ بِهَا وَيَا أَخَا ٱلوَتَرِ ٱلمِكْسَالِ لا تَنَمِ
أَدِرْ عَلَيْنا مِنَ ٱلصَّهْبَاءِ أَفْتكَهَا وَخَدِّرِ العَصَبَ ٱلمَحْمُومَ بِٱلنَّغَمِ
قَدْ يَشْرَبُ ٱلخَمْرَ مَنْ تَغْلُو الهُمُومُ بِهِ وَقَدْ يُغَنِّي ٱلفَتَى مِنْ شِدَّةِ ٱلأَلَمِ

١٩٤١



عمر ونعم

عمر بن أبي ربيعة من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام انفرد عن شعراء العرب عهد ذاك بأسلوبه الجديد في مخاطبة النساء والتعرض لهن مع عراقة محتده وبسطة يده وفتون شعره وجميل مروءته فهو شاعر الجمال والطرب لم يجتمعا لشاعر قبله .وأجمل قصائده بل أكملها تلك التي قالها في « نعم » يصف فيها زورته لها وما تم لهما في تلك الزورة وصفاً أخاذاً ، وقد جعلت هذه القصيدة إطاراً لتلك :

أَخَاكَ يَا شِعْرُ فَهٰذَا عُمَرُ ... وَهٰذِهِ « نُعْمٌ » وَتِلْكَ ٱلذِّكَرُ
لَوْحَانِ مِنْ فَجْرِ ٱلصِّبَا وَوَرْدِهِ ... غَذَّاهُمَا قَلْبٌ وَرَوَّى مَحْجَرُ
يَخْتَالُ مِنْ نَشْوَتِهِ تَحْتَهُمَا ... مَا غَرَّدَا عُودُ ٱلشَّبَابِ ٱلْأَخْضَرُ
فَرْخَانِ فِي وَكْرٍ تَلَاقَى جَانِحٌ ... وَجَانِحٌ وَمِنْقَرٌ وَمِنْقَرُ
يَخْتَلِسُ ٱلْقُبْلَةَ مِنْ مَبْسِمِهَا ... هَلْ تَعْرِفُ ٱلْعُصْفُورَ كَيْفَ يَنْقُرُ؟
وَهْوَ إِذَا أَمْعَنَ فِي ٱرْتِشَافِهَا ... عَلَّمَنَا كَيْفَ يَذُوبُ ٱلسُّكَّرُ
رِسَالَةٌ مِنْ فَمِهِ لِفَمِهَا . كَذَا رِسَالَاتُ ٱلْهَوَى تُخْتَصَرُ

إيهٍ أَبا الخطّابِ[1] مَا أَحْلَى الْهوَى ... تَنْظِمُ مِنْ نَوَّارِهِ وَتَنْثُرُ
فَبَعْضُهُ يَحْلُمُ فِي أَوْرَاقِهِ ... وَبعْضُهُ عَلَى الرُّبَى مُبَعْثَرُ
مَلأْتَ أُفْقَ الحُبِّ عِطْراً وَسَنًى ... وَصُوَراً لِلْوَحْيِ فِيهَا سُوَرُ
أَلجَنَّةُ الزَّهْرَاءُ مَا تَرْسُمُهُ ... وَالْخمْرَةُ الْعَذْرَاءُ مَا تَعْتَصِرُ
وَالنَّغَمُ الخالِدُ مَا تُنْشِدُهُ ... والْمثَلُ الشَّارِدُ مَا تَبْتَكِرُ
الطِّربُ السَّمْحُ إِذَا دَارَتْ طِلا ... أَوْ سَبَقٌ فالشَّاعِرُ الْمُغَبِّرُ
حلِّقْ وَلاَ تَحْفِلْ أَأَزْرَى حَاسِدٌ ... أَوِ انْبرَى لِحَتْفِهِ شُوَيْعِرُ
عَابَ عَلَى الْبُلْبُلِ مَا يَطْرَحُهُ ... مِنْ رِيشِهِ وَهْوَ بِهِ يَأْتَزِرُ

قُلْ لِي : بِنُعْمٍ وَبِأَتْرَابٍ لَهَا ... يَلْعَبْنَ مَا شَاءَ الصِّبَا والأَشَرُ
لَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ[2] هَلْ كَانَتْ كَمَا ... حَدَّثْتَ أَمْ أَخْيِلَةٌ وَصُوَرُ

---

(١) أبو الخطاب كنية عمر بن أبي ربيعة .

(٢) ذو دوران المكان الذي يشير إليه عمر في قصيدته بقوله :

وليلة ذي دوران جشمني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر

وَ«نُعْمُ» هَلْ كَانَتْ كَمَا صَوَّرْتَ أَمْ بَالَغَ فِي تَلْوِينِهَا ٱلْمُصَوِّرُ
وَذٰلِكَ «الْمِجَنُّ» ؟ .. مَا أَوْهَنَهُ يَكَادُ مِنْ رِقَّتِهِ يَنْتَثِرُ
يَا لَلْمُنَى أعنْ يَمِينٍ كَاعِبٌ وَعَنْ شِمَالٍ كَاعِبٌ وَمُعْصِرُ(1)
فَمِنْ هُنَا حَيْثُ تَنَدَّى ٱلزَّهَرُ وَمِنْ هُنَا حَيْثُ تَدَلَّى ٱلثَّمَرُ
وأَنْتَ لاَ تأْلُو دُعاباً فِي ٱلْهَوَى شَمٌّ وَتَقْبِيلٌ وَأَشْيَا أُخَرُ

قَالُوا ٱلْحِجَازُ مُجْدِبٌ لَمَّا عَمُوا وَ« نُعْمُ » فِيهِ رَوْضَةٌ وَنَهَرُ
إِنْ زَقَّتِ العُودَ أنَاشِيدَ ٱلْهَوَى حَنَّ لَهَا ٱلعُودُ وَجُنَّ الْوَتَرُ
أَوْ صَفَّقَتْ لِلَّهْوِ فِي أَتْرَابِهَا مَاجَ لَهَا ٱلْوَادِي وَغَنَّى ٱلشَّجَرُ
أَلْحُبُّ مَذْبُوحٌ عَلَى أَقْدَامِهَا وَٱلْحسْنُ فِي أَلْحَاظِهَا يُكَبِّرُ
تَعَرَّتِ ٱلشَّمْسُ عَلَى وَجْنَتِهَا وَٱنْشَقَّ — لَوْ تَعْلَمُ أَيْنَ — ٱلْقَمَرُ
أَلعِنَبُ ٱلأَحْمَرُ مَسْفُوحٌ عَلَى شَفَتِهَا ، مَا ٱلأُقْحُوانُ ٱلأَصْفَرُ ؟!

---

(1) إشارة إلى قول عمر :

وكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وَالوَرْدَةُ البَيْضَاءُ أَوْ قُلْ نَهْدُهَا كَأَنَّهُ مِنْ خُيَلاءِ يَسْكَرُ
مِنْ ثَمَرِ الفِرْصَادِ فِي ذُرْوَتِهِ السَّرَيَّانَةِ المِعْطَارِ «كَبْشٌ» أَحْمَرُ
أَوْ أَنَّهُ رَأْسُ مَلاكٍ أَشْقَرِ يَحْمِلُهُ صَدْرٌ حَنُونٌ أَشْقَرُ
دَغْدَغَهُ أَخُو هَوًى فَمَدَّ مِنْ لِسَانِهِ وَرَاحَ شَهْدًا يَقْطُرُ

. . . .

رِفْقاً أَبا الخطَّابِ .. جَاوَزْتَ المُنَى فَهَلْ تَرَى فِي الأُفْقِ تَاجاً يُضْفَرُ
أَشْرِفْ مِنَ الذُّرْوَةِ .. كَمْ فِي سَفْحِهَا لِلطَّيْرِ مِنْ أَجْنِحَةٍ تَكَسَّرُ ...
ثَلاثَةٌ مَا عِشْتَ عَاشَتْ لِلعُلَى أَلْحُبُّ ثُمَّ الشِّعْرُ ثُمَّ المِنْبَرُ
لَوْلاكَ وَالشِّعْرُ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ مَا نُعْمُ ، مَا دَوْرَانُ ، إِلاَّ أَثَرُ
لَوْلاَ «جَمِيلٌ» لَمْ تَكُنْ «بُثَيْنَةٌ» وَلَمْ تَكُنْ عَبْلَةُ لَوْلاَ عَنْتَرُ(1)
مَا الحُسْنُ لَوْلا الشِّعْرُ إِلاّ زَهْرَةٌ يَلْهُو بِهَا فِي لَحْظَتَيْنِ النَّظَرُ
لَكِنَّهَا إِنْ أَدْرَكَتْهَا رِقَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ دَمْعَةٌ تَنْحَدِرُ
سَالَتْ دِمَاءُ الخُلْدِ فِي أَوْرَاقِهَا وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا القَدَرُ

---

(1) جميل الشاعر العذري المشهور وحبيبته بثينة وقد شهرت به .

فاعْجَبْ لِذي حُسْنٍ يُجَافي شَاعِراً   يَشْقَى عَلَى تَخْليدِهِ وَيَنْفِرُ
وَالشِّعْرُ رُوحُ اللهِ في شاعِرِهِ   ذَلِكَ يُوحِيهِ وَهَذَا يَنْشُرُ
غِذَاؤُهُ الأَخْلاَقُ في بُرْعُمِها   وَمَاؤُهُ مَاءُ الحَيَاءِ الأَطْهَرُ
الحِكْمَةُ الغَرَّاءُ مِنْ أَسْمَائِهِ   وَعَدْنُ مِنْ أَوْطَانِهِ وَعَبْقَرُ
لَهُ عَلَى الآفاقِ فَتْحٌ زَاهِرٌ   وَفي عُبَابِ المَاءِ فَتْحٌ أَزْهَرُ
يُمْضِيهِمَا مِنْهُ خَيَالٌ مَارِدٌ   أَبُو الفُتُوحَاتِ الَّذي لاَ يُقْهَرُ
تَعَلَّقَ العِلْمُ عَلَى أَسْبَابِهِ   فَحَلَّقَ الطَّوْدُ وَقَالَ الحَجَرُ

لَوْ أنصَفَ الشِّعْرُ وَقَدْ فَجَّرْتَهُ   جَدَاوِلاً يَسْطَعُ مِنْهَا الشَّرَرُ
تُجَذِّفُ الأَحْلاَمُ في أَلْوَاحِهِ   وَيَتَعَرَّى عِنْدَهُنَّ السَّحَرُ
لَوْ أنصَفَ الشِّعْرُ لَكُنْتَ قُبْلَةً   مَعْسُولَةً في ثَغْرِهِ يَا عُمَرُ
أو أنْصَفَتْ «نُعْمُ» وَقَدْ أَبْرَزْتَها   لِلفِتْنَةِ الكُبْرَى مِثَالاً يُؤْثَرُ
في بِدْعَةٍ لِلشِّعْرِ لَمْ يَحْلُمْ بها   «قيسٌ» وَلَمْ يَنْهَدْ لَهَا كُثَيِّرُ[1]

(١) «قيس» مجنون ليلى ، و «كثير» ويعرف بكثير عزة شاعر معروف .

تَدَاوَلَتْها هَضْبَةٌ فَهَضْبَةٌ وَنَاوَلَتْها لِلْخُلُودِ ٱلأَعْصُرُ
لَوْ أَنصَفَتْ لَكَشَفَتْ عَنْ صَدْرِها تَوَدُّ لَوْ تُطْبَعُ تِلْكَ الأَسْطُرُ
وَصَفَّقَتْ « لِعُمَرٍ » قَائِلَةً بِنَاظِرِي ٱلأَسْوَدِ هٰذَا الأَسْمَرُ

١٩٣١



ياعاقد الحاجبين

يَا عَاقِــدَ ٱلحاجِبَيْنِ على ٱلْجَبِينِ ٱللُّجَيْنِ
إنْ كنتَ تَقْصِدُ قَتْلِي قتلتَــني مرَّتينِ

ماذا يُرِيبُكَ مِــنِّي وما هَمَمتُ بشَيْنِ
أَصُــفْرَةٌ في جَبِيني أَمْ رَعْشَةٌ في ٱلْيَدَينِ

تمرُّ قَفْــزَ غزَالٍ بَيْنَ ٱلرَّصِيفِ وَبَيْني
وما نَصَبْتُ شِبَــاكي ولا أَذِنْتُ لِعَيْــني

تَبْدُو كأنْ لا تَرَاني وَمِلْءُ عَيْنكَ عيني[1]

(١) بمعنى ذاتي .

وَمِثْلُ فعلِكَ فعــلي وَيْلي مِنَ ٱلأَحْمَقَينِ

مَوْلايَ لَمْ تُبْقِ منّي حَيًّا سِــوَى رَمَقَيْنِ
صَبَرتُ حتَّى براني وَجْدِي وَقَرَّبَ حَيْني

سَتَحْرِمُ ٱلشِّعرَ منّي وَلَيْسَ هَذا بِهَيْنِ
أَخَافُ تدعُو ٱلقوافي عليكَ في ٱلمَشْرِقَيْنِ

١٩٣٢

أنا نايُ الهوى

أيُّها ٱلْبُلْبُلُ ٱلمغرِّدُ فِي ٱلليـــلِ عَلى كُلِّ أَخْضَرٍ مَيَّادِ
عَمَرتْكَ النُّجُومُ بِالْقُبَلِ ٱلسَّكْــرَى فَنَقِّرْ يا ساحِرَ ٱلْمِنْقـادِ
ياشَقِيَّ ٱلهوَى جفاكَ ٱلَّذي تهْــوَى ومَلَّ ٱلظَّلامُ مِمَّا تُنادِي
خلَقَ اللهُ للْهوَى قُبْلةَ ٱلرُّو حِ وَرَاءَ ٱلخُدُودِ وٱلأَجْيادِ
أنَا أَدْرَى بِالطَّيرِ حِينَ تُغَنِّي كَمْ جِراحٍ سَالتْ عَلى ٱلأَعْوادِ

سَلْ ضِفَافَ ٱلهوَى أَأَنبتْنَ غُصْناً كَسُلَيْمَى أَوْ طَائِراً كَفُؤادي
كُلَّمَا هَلْهَلَ ٱلأَغَانِي عَلَيْهَا قَبَّلَتْهُ وَأَنْكَرَتْ كلَّ شَادِ
نَحْنُ عُرْسَانِ لِلْغِناءِ ولِلشِّعْــرِ جَلَتْنَا مَوَاكِبُ ٱلأَعْيَادِ
أنَا نَايُ ٱلهوَى ٱلَّذِي ٱخْتَرَعَ ٱللّــهُ وَأَنْتِ الْفَرِيدُ مِنْ إنْشَادِي

كفاني يا قلب

كَفَانِيَ يَا قَلْبُ مَا أَحْمِلُ أَفِي كُلِّ يَوْمٍ هَوًى أَوَّلُ
أَيَخْلُقُ مِنْكَ جَدِيدُ الْهَوَى فُؤَاداً مِنَ السُّكْرِ لا يَعْقِلُ
لَهُ عَثْرَةُ الطِّفْلِ حَوْلَ السَّرِيرِ وَدَمْعَتُهُ الْبِكْرُ إِذْ يُعْوِلُ
أَفِي كُلِّ وَجْهٍ لَنَا مَرْتَعٌ وَفِي كُلِّ ثَغْرٍ لَنَا مَنْهَلُ
كَفَى نَهَماً لَنْ يَفِرَّ الْجَمَالُ وَتَرْحَلُ أَنْتَ وَلا يَرْحَلُ

عَذَرْتُكَ يَا قَلْبِ مَنْ لِلْهَوَى أَنَتْرُكُهُ بَعْدَنَا يَذْبُلُ
سَكَتْنَا فَمَا غَرَّدَ الْعَنْدَلِيبُ وَتُبْنَا فَمَا صَفَّقَ الْجَدْوَلُ



آه ما أحلى الحُميّا

آهِ ما أحلى الحُميّا تحتَ أذيالِ السُّكونْ
والهوى يُوحي إليّا برسالاتِ العيونْ

كلّما غنّيتُ لحناً في ديارِ البلبلِ
سرقَ اللحنَ وألقا هُ بأذنِ الجدولِ

خلقَ اللهُ فؤادي من شعاعٍ ودموعِ
قبسًا من وجهِ طهَ ذابَ في جفنيْ يسوعِ

ليسَ ما يُشجيكَ منّي نغماتٌ في فمي
إنّها والهفَ نفسي قطراتٌ من دمي

مَلَأُوا كَأْسِيَ خَمْراً   لَيْسَ مِنْ خَمْرِي ودَنِّي
وَسَقَوْا عُودِي فَغَنّى   وَفؤَادِي لَمْ يُغَنِّ

أَكَمَا شَاؤُوا غِنائِي   وَكَمَا شَاؤُوا نُوَاحِي
أَفَلَيْسَ اللّهْوُ لَهْوِي   والْجِرَاحَاتُ جِرَاحِي

يَا حَبِيبي قُمْ نُرَصِّعْ   بِالْهَوَى ثَغْرَ الْحَيَاهْ
نحِّ هٰذِي الْكَأْسَ عَنِّي   واسْقِنِي هٰذِي الشِّفَاهْ

كُلّمَا أَوْمَضَ لَحْظَا   كَ بِلَحْنٍ يَا حَبِيبِي
كلّمَا شَبَّبَ خَدَّا   كَ بِخَمْرٍ أَوْ بِطِيبِ

كلّمَا رَتَّلَ نَهْدَا   كَ تَرَاتِيلَ الْمغِيبِ
صَفَّقَ الْقَلْبُ ونَادَى   يَا حَبِيبِي يَا حَبِيبِي
١٩٣٩

مَن رأى الشّاعِر تابْ

كَذَبَ ٱلْوَاشِي وَخَابْ مَنْ رَأَى ٱلشّاعِرَ تَابْ
عُمْرُهُ فَجْرٌ مِنَ ٱلْحُــبِّ وَلَيْلٌ مِنْ شَرَابْ

كَيْفَ أَصْحُو!؟... خَمْرَتِي مِنْ شَفَتَيْكِ
وَٱلْمُنَى تَضْحَكُ لِي فِي نَاظِرَيْكِ
وَأَنَاشِيدُ ٱلْهَوَى فِي أُذُنَيْكِ
هَمَسَاتُ ٱلْقَطْرِ بَلْ رَنّاتُ أَيْكِ
غَنّني يَا بُلْبُلِي وَاسْقِنِي يَا جَدْوَلِي ٱللّيَالِي ٱلْحُمْرُ لِي يَا سُلَيْمَى
كَذَبَ ٱلْوَاشِي وَخَابْ . . .

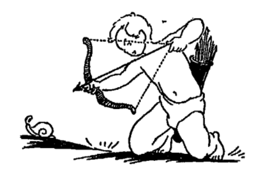
رَدِّدِي ذِكْرَى لِقَــانَا ٱلأَوّلِ

وَتَساقينا كُؤُوسَ ٱلْغزَلِ
وَٱفْتِراشَ ٱلْعُشْبِ عِندَ ٱلْجَدْوَلِ
أنا لا أنْسى وقَدْ غَنَّيتِ لي
عِنْدَما ٱللّيلُ احْتَوانا كَيْفَ سالَتْ دَمْعَتانا وَتلاقَتْ شَفَتانا يا سُلَيْمى
كَذَبَ ٱلواشي وَخابْ . . .

يَا لَيالِينا عَلَى شَطِّ ٱلْخَلِيجِ
وَمَلاهِينا على مَرْمى ٱلثُّلُوجِ
حَبَّذا لبنانُ من أُفْقٍ بَهِيجِ
فَٱسْقِني ٱلْخَمْرَ على تِلكَ ٱلْمُرُوجِ
وَٱسْقِني الشَّهْدَ ٱلْمُذابْ فإذا وَلّى ٱلشّبَابْ كلُّ ما يَبْقَى تُرابْ يا سُلَيْمى
كَذَبَ ٱلواشي وَخابْ . . .

أَنَا طَيْفٌ مِنْ خيالاتِ ٱللّيالي

مِن صَدَى ٱلْوادي وَمِنْ هَمْسِ ٱلدَّوالي
كَمْ على ٱلصحْراء وَشيٌ من خَيالي
وَعلى ٱلْبَحْرِ يتيماتي ٱلْغَوالي
مِنْهُما صُغْتُ حِلاكِ وَمُنَى النَّفْسِ رِضاكِ أَنا وَالشِّعْرُ فِداكِ يا سُلَيْمَى
كَذَبَ ٱلْواشي وَخاب مَنْ رَأَى الشَّاعِرَ تابْ
عُمْرُهُ فَجْرٌ مِنَ ٱلْحُبِّ وَلَيْلٌ مِنْ شَرابْ



وَدَاد

في العشرين

يَا قِطْعَةً مِنْ كَبِدِي فَدَاكِ يَوْمِي وَغَدِي
وَدَادُ يَا أُنْشُودَتِي الْـــبِكْرَ وَيَا شِعْرِي النَّدِي
يَا قَامَةً مِنْ قَصَبِ الـــسُّكَّرِ رَخْصَ العُقَدِ
حَلاوَةٌ مَهْمَا يَزِدْ يَوْمٌ عَلَيْهَا تَزِدِ
تَوَقَّدِي فِي خَاطِرِي وَصَفِّقِي وَغَرِّدِي
تَسْتَيْقِظِ الأَحْلامُ فِي نَفْسِي وَتَسْقِيهَا يَدِي
رِفِّي عَلَى النَّادِي وَقُو لِي الْيَوْمَ عِيدُ مَوْلِدِي
عِشْرُونَ... قُلْ لِلشَّمْسِ لا تَبْرَحْ وَلِلدَّهْرِ اجْمُدِ
عِشْرُونَ ... يَا رَيْحَانَةً فِي أَنْمُلَيْ مُبَدِّدِ

عِشْرُونَ ... هَلَّلْ يَا رَبِيعُ لِلصِّبَا وَعَيِّدِ

وَبَشِّرِ الزَّهْرَ بِأُخْتِ الزَّهْرِ وَاطْرَبْ وَأَنْشُدِ
وَانْقُلْ إِلى الْفَرْقَدِ مَا نَمْنَمْتُهُ عَنْ فَرْقَدِي



نَدى

في الخامسة

نَدَى ، نَدَى بَسْمَةُ ٱلوَرْ دِ لِلنَّدَى فِي ٱلصَّبَاحِ
نَدَى ، نَدَى هَمْسَةُ ٱلطُّهْـــرِ فِي شِفَاهِ ٱلْأَقاحي
نَدَى ، نَدَى شُعْلَةُ ٱلْحُـــبِّ قُبْلَةُ ٱلْأَرْواحِ
كَمْ مِنْ وِشَاحٍ كَسَاهَا ٱلْـــجمَالُ كَمْ مِنْ وِشَاحِ

أُخْتُ ٱلْفَرَاشَاتِ يَلْعَبْـــنَ حَالِياتِ ٱلْجَنَاحِ
لَمْ تُبْقِ لِلزَّهْرِ وٱلطَّيْـــرِ مِنْ شَذاً وَصُدَاحِ
رُضَابُهـــا لِلحُمَيَّا وٱلْخَـدُّ لِلتُّفَّاحِ
كَمْ مِنْ وِشَاحٍ كَسَاهَا ٱلْـــجَمَالُ كَمْ مِنْ وِشَاحِ

نَدايَ مَن سَلْسَلَ ٱلخمْـــرَ في ٱلثَّنَايا ٱلعِذَابِ ؟

مَن صَفّفَ ٱلشَّعْرَ فَوْقَ ٱلْـــجَبِين سَطْرَ كِتابٍ ؟
رَدَدْتِ لي بَعْدَ يَأْسِي حُلْمَ ٱلْهَوَى وٱلشَّبابِ
من أنت ؟ !
ٱللهُ ٱللهُ لَمَّا عَضَّتْ عَلَى ٱلعُنَّابِ
وصَفَّقَتْ بِيَدَيْها وغَمْغَمَتْ بٱلْجَــوابِ
سَل ٱلرَّيَاحِين عنِّي وسَلْ حَنَين ٱلرَّبَابِ

نَدَى ، نَدَى بَسْمَةُ ٱلْوَرْ د لِلّندَى في ٱلصَّبَاحِ
رُضَابُهـــا لِلْحُميَّا وٱلخـــدُّ لِلتفَّاحِ
كَمْ مِنْ وِشَاحٍ كَسَاهَا ٱلْـــجَمَالُ كَمْ مِن وِشَاحِ



وُلِدَ الهَوى وَالخَمْرُ...

على ضفاف بردى

فِتَنُ ٱلْجَمَالِ وَثَوْرَةُ ٱلأَقْدَاحِ صَبَغَتْ أَسَاطِيرَ ٱلْهَوَى بِجِرَاحِي
وُلِدَ ٱلهوَى وَٱلْخَمْرُ لَيْلَةَ مَوْلِدِي وَسَيُحْمَلانِ مَعِي عَلَى أَلْوَاحِي
قَدْ عِشْتُ بَيْنَهُمَا عَلَى نَغَمِ الصِّبَا كَفَرَاشَةٍ عَلِقَتْ بِثَدْيِ أَقَاحِ
أَشْتَفُّ رُوحَهُما وأُعْطِي مِثْلَهَا رُوحاً وأُسْلِمُ لَيْلَتي لِصَباحي
رُوحٌ كَمَا ٱنْحَطَمَ الغَدِيرُ عَلَى الصَّفَا شِعَباً مُشَعَّبَةً إلى أَرْوَاحِ
لِلْحُبِّ أَكْثَرُهاوَ بَعْضُ كَثِيرِها لِرُقَى ٱلْجَمالِ وَبَعْضُها لِلرَّاحِ

أَنا لا أُشَيِّعُ بِالدُّمُوعِ صَبَابَتي لكِنْ أَلُفُّ جَنَاحَها بِجَناحِي
إِلْفانِ في صَيْفِ ٱلْهَوَى وخَرِيفِهِ عَزّا عَلَى غِيَرِ ٱلزَّمانِ الْمَاحِي
دَعْني وَمَا زَرَعَ ٱلزَّمَانُ بِمَفْرِقي مَا كُنْتُ أُدْفِنُ فِي الثُّلوجِ صُدَاحِي
مَنْ كانَ مِنْ دُنْيَاهُ يَنْفُضُ رَاحَهُ فَأَنا عَلَى دُنْيَايَ أَقْبِضُ رَاحِي

اُخْتِيرَ لِلْكَفَنِ الْبَيَاضُ لِحُسْنِهِ		لَكِنَّمَا كَفَنُ الْمَشِيبِ الْوَاحِي
نِي أُفَدِّي كُلَّ شَمْسِ أَصِيلَةٍ		حَذَرَ الْمَغِيبِ بِأَلْفِ شَمْسِ صَبَاحِ

رَدَى نَظَمْتَ لَنا الزَّمانَ قَصَائِداً		بِيضاً وَحُمْراً مِنْ نَدًى وصِفَاحِ
ي كلِّ رَابِيَةٍ وكلِّ حَنِيَّةٍ		عَصْمَاءَ تَسْطَعُ بالشَّذَا الْفَوَّاحِ
كَمْ وَقْفَةٍ لِي فِي ذَرَاكَ وجَوْلَةٍ		شِعْرِيَّةٍ وهَوَى الشَّآمِ سِلاحِي
نَدَّيْتُ لَيْلَكَ والكَوَاكِبُ فِي يَدِي		ولَثَمْتُ بَدْرَكَ والضِّيَاءَ وِشَاحِي
لَيْلٌ حَرِيرِيُّ النَّسِيجِ كَأَنَّهُ		شَكْوَى الْهَوَى وصَبَابَةُ الْمُلْتَاحِ
وَعلى الضِّفَافِ إِذَا تَمَوَّجَتِ الضُّحَى		لَوْنَانِ مِنْ أَرَجٍ وَمِنْ تَصْدَاحِ
والغُصْنُ فِي حِضْنِ الرِّيَاضِ وِسَادَةٌ		نَمَّتْ عَلَى عُنُقَيْنِ مِنْ تُفَّاحِ
مُتَلازِمَيْنِ تَوَجَّسَا إِثْمَ الهَوَى		فَتَخَوَّفَا طَرْفَ الضُّحَى اللَّمَّاحِ

هَلْ لِي إِلَى تِلْكَ المَنَاهِلِ رَجْعَةٌ		فَلَقَدْ سَئِمْتُ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَاحِ
رُجْعَى يَعُودُ بِيَ الزَّمانُ كَأَمْسِهِ		صَهْبَاءَ صَارِخَةٌ ولَيْلٌ ضَاحِ

يا ذَابحَ ٱلعُنقُودِ خضَّبَ كَفَّهُ ... بدِمائهِ بُورِكْتَ منْ سفّاحِ
أنا لَسْتُ أرْضى للنَّدَامى أن أرى ... كَسَلَ ٱلهوى وتثاؤُبَ ٱلأقْداحِ
أَدبُ ٱلشّرابِ إذا ٱلمُدَامةُ عَربدَتْ ... في كأسِها أن لا تكُونَ ٱلصَّاحي
باكَرْتُها وٱلزَّهْرُ يَشْرَقُ بالنَّدى ... في فتْيَةٍ شُمِّ ٱلأُنُوفِ صِباحِ
أَهْلُ ٱلنَّدى وٱلبَأسِ إنْ تَنزلْ بهمْ ... تَنزلْ عَلَى عربٍ هُنَاكَ فِصَاحِ
ٱلشّامُ مَنبِتُهم وكَمْ منْ كوْكَبٍ ... هَادٍ وَكمْ منْ بُلْبُلٍ صَدَّاحِ
وَطَنٌ أعَارَ ٱلخلْدُ بَعْضَ فتُونِهِ ... وَسَقى ٱلمَكارِمَ فَضْلَةَ ٱلأقْدَاحِ

لُبْنَانُ يَا وَلَهَ ٱلبَيَانِ أَذاكِرٌ ... أمْ لَسْتَ تَذْكُرُ نجْدَتِي وكِفاحي
قبَّلْتُ بِاسْمِكَ كُلَّ جُرْحٍ سَائِلٍ ... ورَكَزْتُ بَنْدَكَ عَالياً في ٱلسَّاحِ
أنا إنْ حُجِبْتُ فَلَيْسَ ذَاكَ بِضَائري ... وعَلَى ٱلخوَاطِرِ غَدْوَتي ورَواحي
تَتَحجَّبُ ٱلأرْوَاحُ وَهْيَ خوَالِدٌ ... وتَرَى العُيُونُ زَوَائلَ ٱلأشْبَاحِ
وَلرُبَّما خَدَعَتْكَ صَفْحَةُ هادِئٍ ... مِنّي وَفي ٱلأحْشَاءِ عَصْفُ رِيَاحِ
إنِّي إذا جُنَّتْ رِيَاحُ سَفِينَتي ... ذَهَبَ ٱلجُنُونُ بحِكْمَةِ ٱلمَلَّاحِ

ياورْدُ من يَشتريك

نظمت نزولا على رغبة الصديق الموسيقار محمد عبد الوهاب
وأثبتت هنا نزولا على إلحاح بعض الإخوان .

يا وردْ مِينْ يشتريكْ وللحبيب يهديكْ
يهدي إليه ٱلأملْ وٱلهوى وٱلقُبَلْ

يا ورد

أبيضْ غارَ ٱلنهار منّو خجولْ محتارْ
باسو ٱلندا بخدو وجارت عليه ٱلأغصان
راح للنسيم وٱشتكى وجرّح خدودو وبكى
أفدي ٱلخدودَ ٱلتي تعبث في مهجتي
يا ورد ليه ٱلخجل فيك يحلو الغزل

يا ورد

يا ورد يا ٱحمر قوللي مين دا اللي جرّحك
جرّح شفايفك وخلّى على شفايفك دمك

شُقَّتْ جيوبُ ٱلغَزَلْ وانبحَّ صـوتُ ٱلقُبَلْ
على ٱلشـفاه ٱلتي تشربُ من مهجتي
يا ورد ليــه ٱلخجل فيك يحـلو ٱلغزل

يا ورد

أصـفر من السقم أم من فرقة ٱلأحبـاب
يا ورد هوِّنْ عليك عاد بلبلاك ولهـان
يســأل عليك ٱلربى وٱلزهر وٱلأنهار
يهتف أين ٱلتي وهبتهـا مهجتي
يا ورد ليــه ٱلخجل فيك يحـــلو ٱلغزل

يا ورد

في الصفحات التالية طلائع من
قصائد الألم والعروبة والجهاد .



يَبْعَثُ ٱلدَّارِجِينَ في ٱلأَعْصُرِ ٱلغُبْـــرِ وَكَانُوا عَلَى رَحَاهَا غُبَارا
فَإِذَا هُمْ مَوَاثِلٌ نَفَضُوا ٱلأَرْ مَاسَ عَنْهُمْ وَمَزَّقُوا ٱلأَدْهَارا
أَفَتَرْجو شُفِيتَ مِنْ مَرَض ٱلغَفْـــلَةِ أَنْ يَضْفِرُوا لِرَأسِكَ غَارا

مُتْ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيباً أَوْ فَبَدِّلْ بِغَيْرِ لُبْنَانَ دَارَا
بَلَدٌ قُسِّمَتْ حُظُوظُ بَنِيهِ فَأَصَبْنَا مِن بَيضِهَا الأَصْفَارا
أَنَفَاً لِلبِلادِ أَنْ تَحمِلَ ٱلعَا رَ رَضِينا أَنْ نَعْتُبَ ٱلأَقْدَارا
لَيْسَ مَا تَرْشَحُ ٱلشِّفَاهُ ٱبْتِسَاماً لَوْ تَأَمَّلْتَ بَلْ جِرَاحاً حِرَارَا
وَلَقَدْ يُعْذَرُ ٱلأَدِيبُ مَتَى ضِيـــمَ إِذَا أَرْسَلَ ٱلعِتَابَ ٱضْطِرَارا

أَيُّهَا ٱلعَبْقَرِيُّ يَا شَرَفَ ٱلأَرْ زِ كَفَى الأَرزَ إِنْ ذُكِرْتَ فَخَارا
وَيْحَ لُبْنَانَ كُلَّمَا ذَرَّ نَجْمٌ فِيهِ وَلَّى عَنْ أُفْقِهِ وَأَنَارَا
ضَمكَ «ٱلشَّيْخُ» فِكْرَةً وَتُرَاباً لَيْتَهُ ضَمَّ غُصْنَهُ وَٱلهَزَارَا

أسمهان

عندَ البلابلِ بَينَ السَّفحِ والوادِي بعضُ الأحاديثِ عن شَجْوي وإنْشادِي
يا مَنْهَلَ الفنِّ قدْ غاضَتْ منابِعُهُ ماذا فعلْتِ بقلْبِ المدْنَفِ الصَّادِي
تِلكَ الأصائلُ مِنْ وَرْدٍ وَمِنْ حَبَبٍ وأنتِ في صدْرِها ريحانةُ النَّادِي
حتَّى تحَكَّمتِ بالأرْواحِ فانطَلَقَتْ فنَحْنُ مِن بعدِها أطلالُ أجْسادِ
هَلِ الغِناءُ إذا جرَّحتِ آهتَهُ سِوى عُصارةِ أكبادٍ لِأكبادِ
كأنهُ موْجةٌ بيْضاءُ نَاعِمَةٌ يمْشِي الشِّراعُ بِها في بحرِهِ الهادِي
تأوِي الأغارِيدُ منهُ حِين ترْسِلُهُ إلى وَريفٍ نَدِيٍّ الظِّلِّ مدَّادِ
وينثرُ الرَّوضُ سكراناً براعِمَهُ كألسُنِ الطَّيرِ شقَّتْ نصفَ منقادِ

مَنْ ذَاسقَى الرَّوضَ؟ماهَذَاالفُتونُ بهِ فلسْتُ أبْصِرُ فِيهِ غَيرَ ميَّادِ
كأنَّ أغصانَهُ لمَّا برزتِ لها سِرْبٌ منَ الحُورِ في أثوابِ أعيادِ

يكادُ يُفْتَنُ مِثلي ثَغرُ وَرْدتهِ فيَخْطَفُ اللحنَ قبلي من فمِ الشَّادِي

. . . .

أَضَاعَ جبريلُ من قِيثَارهِ وَتَراً في لَيْلةٍ غَابَ عَنْها نجمُها الْهادِي
وَحَارَ... ليْسَ يَرَى في الْخُلْدِ بُغْيَتَهُ مامَعْبَدٌ؟ماأَبُو إِسْحٰقَ؟ماالْوَادِي (1)
حتَّى أطلَّ على الدُّنيا فأذْهَلهُ أَنْ شقَّ جَوْفَ الدُّجى ترجيعُ إنشادِ
فاهْتزَّ ترعَشُ فيه كلُّ جارِحةٍ كأنَّها رِيشَةٌ في كفِّ عوَّادِ
وطَارَ حتَّى أتَى الوادِي (2) وَعَادَ إلى الـفِرْدَوْسِ مُحْتَضِناً «قيثارة» الوادِي

١٩٤٤



(١) معبد وأبو إسحق الموصلي وحكم الوادي من أشهر مغني العرب .
(٢) وادي النيل .

الجابي

في آب ١٩٣٥ أطلقت وزارة المالية جباتها في القرى اللبنانية يمعنون في الأهلين إرهاقاً لتحصيل بقايا الأموال الأميرية خلال أزمة مضنية فأوحى ذلك الإرهاق بهذه القصيدة .

مَنِ ٱلنَّاعِبُ قَبْلَ ٱلفَجْـــرِ مَنْ هٰذَا عَلَى ٱلبَابِ
أُعِيذُ ٱلقُبْحَ مِنْ قُبْحٍ بِأَظْفَارٍ وَأَنْيَـــابِ
أَقَبْلَ ٱلشَّمْسِ فِي الآفَا قِ وَالعُصْفُورِ فِي ٱلغَابِ ؟
وَمَا زَارَ ٱلكَرَى جَفْنِي وَلَمْ تَعْلَقْــهُ أَهْدَابِي
وَلَا غَذَّيْتُ أَطْفَــالِي سِوَى هَمِّي وأَوْصَابِي
فِرَاشِي يا وَقَاكَ ٱللّٰــهُ منهُ بَعْضُ أَعْشَابِ
وَهٰذي كُوبَتِي ٱلْفَخَّا رُ مَا فِيهَا سِوَى صَابِ
فَمَا تَبْغِيهِ فِي بَابِي وَمَنْ أَنْتَ ؟ أَنَا ٱلجَابِي

إلـٰـهِي أَيُّ دَهْيَاءٍ يُرَدِّي مِثْلُهَا مِثْلِي

وَيَشْكُو فَقْرَهُ قَبْوِي وَيَشْكو مَحْلَهُ حَقْلِي
وَشَاتِي وَهْيَ أُمُّ ٱلبيـــتِ يَشْكو ضَرْعَها طِفْلِي
رُوَيْداً يا أخا ٱلْهَيْجَا ءِ قد أَسْرَفْتَ في ٱلقتلِ
ألاَ تُبْقِي على شَيءٍ ؟ فَمَنْ يَحْيَا بِلَا أَكلِ
كَفَانَا أَنَّنا نَمْشِي مِنَ ٱلبُؤْسِ بِلَا نَعْلِ
وأَنَّا نَمْضُغُ ٱلموتَيْـــن مِن ظُلْمٍ وَمِنْ ذُلِّ
فَمَنْ أَغْرَى ٱلرَّزَايا بي وَمَنْ أنْتَ ؟ — أنا ٱلجَابي

بِرَبِّ ٱلأرزِ حَـدِّثني أَحَقًّا قَولُهُـــــم حَقَّا
بِأَنَّ النَّاسَ في بَيرُو تَ لا تَشْقَى كَمَا نَشْقَى
وأَنَّ ٱلأُتْنَ وٱلثِّيرا نَ تَلْقَى ٱلعَطْفَ وٱلرِّفْقَا
فإنْ صَحَّ ٱلذي قالُوا أَيَرضى ٱلعَدْلُ ذَا ٱلفَرْقَا
وَيَرضَى صَاحِبُ ٱلسُّلطَا نِ أَنْ نَفْنى وأَنْ يَبْقى
أَلِلحُكَّامِ مَا نَجْني ؟ مَتَى كُنَّا لَهُمْ رِزقَا

كَذَا يَلْقَى ٱلَّذي يَبْتَا عُ بِٱلْحُرِيَّةِ ٱلرِقَّا
فَعُدْ بِاللهِ عَنْ بَابِي وَخُذْ مَا شِئْتَ يَا جَابِي

لِمَنْ يَنْسَاقُ هَذا ٱلمَا لُ قُولي يَا سَمَا قُولي
أَأَيْلُولٌ عَلَى ٱلْأَبْوَا بِ لاعِشْنَا لِأَيلول[1]
يُبَاعُ ٱلخبزُ في بَيْتي لتزميرٍ وَتَطْبيـــــلِ
وخَنْقِ ٱلدَّمْعَةِ ٱلْحَمْرَا ءِ في كَفِّ ٱلْأَباطِيلِ
أَيَحْيَا عيدُ أَيْلولِ على مِلْيُونِ مَقْتُولِ
وَلا يَرْثي أُولُ ٱلْأَمرِ لِأَشْبَـــاحٍ مَهَازِيلِ
نِيامٍ بينَ تَوْرَاةٍ وقُرْآنٍ وإنْجيـــلِ
فَمَا في ٱلغَابِ من نَابِ فَزَمْجِرْ أَيُّها ٱلجَابي

أَلاَ سَيْفٌ مِنَ ٱلْإِيمَا نِ يَبْرِي ٱلسَّيفَ مَسْنُونَا

(١) أول أيلول عيد إعلان لبنان الكبير .

يُجَلِّي عن سَمَا ٱلْأوطا نِ هٰذا ٱلذُّلَّ وَٱلْهونا
يَقُودُ إلى جُنُونِ ٱلمجـدِ أبطالاً مَجانِينا
بِقَلْبٍ يَحْمِلُ ٱلآما لَ وٱلآلامَ وَٱلدِّينَا
يَهُزُّ ٱلقوم(١) بِالذِّكْرَى وقَدْ يَنْسَى ٱلفتى حِيناً
إذا أُعْطِيتَ وعْدَ ٱلحُرّ كانَ ٱلوعدُ مأمُونا
ولـكن ليسَ في ٱلبَابِ سَوَى ٱلجُنْدِيِّ وٱلجَابِي



(١) يريد بهم المنتدبين .

عُودُوا إلى تلك القُرى

نشرت في العدد الأول من جريدة « البلاد » لصاحبيها الأستاذ موسى نمور والشيخ يوسف الخازن نزولا عند اقتراحهما .

قَالوا ٱلبِلَادُ — فَقُلْتُ أيُّهما أَهِيَ ٱلجَرِيدَةُ أَمْ هِيَ ٱلوطَنُ
إنْ كانَتِ ٱلأُولى فَحَسْبُكُمُ قَلَمٌ عَلَى الأَوْطَانِ مُؤْتَمَنُ
أوْ كانَتِ ٱلأُخْرَى فَوَاحَرَبا أَلبُؤْسُ والأَرْزَاءُ والفِتَنُ

أَبَني أَبِينَا طَالَ نَوْمُكمُ تَشْقَى ٱلنفُوسُ وَيَنْعَمُ ٱلبَدَنُ
لا ٱلحَقْلُ يَبْسِمُ عَنْ مَعَاوِلِكُمْ فِيهِ وَلا تَتَرَنَّمُ ٱلمِهَنُ
ذَوَتِ ٱلرِّيَاضُ وَمَاؤُكُمْ عَمَمٌ وَتَعَطَّلَتْ مِنْ حَلْيِها ٱلقُنَنُ
وَخَوَتْ زَرَائِبُكُمْ وَكانَ عَلَى جَنَبَاتِهَا يَتَدفَّقُ ٱللَّبَنُ
مِحْرَاثُكُمْ صَدِئُ ٱلحَدِيدُ بِهِ والفَأْسُ مِلْءُ عُيُونِها ٱلوَسَنُ
عُودُوا إلَى تِلْكَ ٱلقُرَى فَلَقَدْ سَلَخَتْكُمُ عَنْ قَلْبِها ٱلمُدُنُ

أَلذِّكْرَيَاتُ عَلَى مَقَادِسِهَا أَلْأُمُّ وَالْأَخَوَاتُ وَالسَّكَنُ(١)
قُبَلُ الطُّفُولَةِ فِي تَرَائِبِهَا لَيْتَ الحَيَاةَ لِبَعْضِهَا ثَمَنُ
تَحْتَ الدَّوالي مَلْعَبٌ بَهِجٌ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ وَالرُّبَى وُكَنُ(٢)
فَدَتِ العُيُونُ النُّجْلُ أَجْمَعُها عَيْنًا تَدَفَّقَ ماؤُها الهَتِنُ
تَأْوِي الطُّيُورُ إِلَى أَظِلَّتِهَا وَيَظَلُّ يَلْثِمُ كَفَّهَا الغُصُنُ
تَرِدُ الصَّبَايَا بِالجِرَارِ وَقَدْ عَادَتْ عَلَى أَكْتَافِهَا المُزُنُ
تِلْكَ اللَّبُوءاتُ الَّتِي عَمُرَتْ بِشُبُولِهَا الأَجَمَاتُ وَالعُرُنُ(٣)

لُبْنَانُ — لُبْنَانُ الحَبِيبُ خَوَى لا البَيْتُ لا البُسْتَانُ لا العَطَنُ(٤)
خَلَتِ المَرَابِطُ مِنْ سَوَابِقِهَا وَتَثَاءَبَتْ بِجِبَالِهَا الأُتُنُ
عُودُوا إِلَى تِلْكَ القُرَى فَعَلَى بَسَمَاتِهَا يَتَمَزَّقُ الحَزَنُ
لُبْنَانُ ما فَعَلَ الزَّمَانُ بِنَا سَلْهُ أَمَا لِحُرُوبِهِ هُدَنُ ؟
يَغْدُو عَلَيْكَ بِأَوْجُهٍ كَلَحَتْ فَمَتَى يُنَوِّرُ وَجْهُكَ الحَسَنُ ؟

---

(١) السكن : الحبيب .
(٢) الوكن : موقع الطير .
(٣) العرن : جمع عرين وهو بيت الأسد .
(٤) العطن : موضع الماشية .

المتنبي والشهباء

ألقيت في الحفلة التكريمية التي أقامتها عاصمة سيف الدولة في تشرين الأول ١٩٣٥ لصاحب هذا الديوان .

نَفَيتَ عَنْكَ ٱلعُلَى وَٱلظَّرْفَ وَٱلأَدَبا ... وإنْ خُلِقْتَ لَها ـ إن لَمْ تَزُرْ حَلَبا[1]
خُذِ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي يَرْضَى ٱلفُؤَادُ بِهِ ... وَلا تَخَفْ ، فَقَدِيماً ماتَتِ ٱلرُّقَبا
وَاسْكُبْ عَلَى رَاحَتَيْها رَوحَ عاشِقِها ... وَمُصَّ مِنْ شَفَتَيْها ٱلشِّعْرَ وَالعِنَبا
أَفْدِي ٱلشِّفاهَ ٱلَّتي شاعَ ٱلرَّحِيقُ بِها ... وَهَمَّ بِٱلْكَأْسِ ساقِيها وَما سَكَبا
كأَنَّها نَجْمَةٌ طَالَ ٱلسِّفارُ بِهَا ... عَطْشَى . رَأَتْ وَهْيَ تَمْشِي مَنْهَلاً عَذِبا
تَوَسَّدَتْ شَفَّتَيْهِ بَعْدَ ما نَهِلَتْ ... وَفَارَقَتْ صاحِبَيْها : ٱللَّيْلَ والتَّعَبا
مَا لِلشِّفاهِ ٱلكَسالى لا تُزَوِّدُنا ... فَقَدْ حَمَلْنا عَلَى أَفْوَاهِنا ٱلقِرَبا

---

(١) أخذ بعضهم على الشاعر أنه نفى العلى والظرف والأدب عن أي إنسان لا يزور حلب والحال أن الشاعر خاطب نفسه بهذا البيت وهو ما يسمونه في البديع التجريد وقد جرى عليه الشعراء من قبله كقول أبي فراس : « أراك عصي الدمع شيمتك الصبر » ولم يقل أراني . . .
وكقول المتنبي : « كفى بك داء أن ترى الموت شافيا » ولم يقل كفى بي . . .

مُهْجَتِي شَفَةٌ مِنْهُنَّ بَاخِــلَةٌ جارَانِ ، تَحْسَبُنا إنْ تَلقْنا غُرَبَا

هُمُ بِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَأَمْسِكُها إِذَا قَرأْتُ عَلى أَلحاظِهَا الغَضَبا

نا الَّذي اتَّهَمَتْ عَيْناه قَلْبَهما فَرُحْتُ أَخْلقُ مِنْ نَفْسي لِيَ الرِّيَبا

أَمْنَعُ الشَفَةَ الدُّنيا وَلَوْ طَمَحَتْ نَفْسي إلى شَفَةِ الفِرْدَوْسِ ما انْحَجَبا

يُمطِرُ الضَّيْمُ في أَرْضي وَأَشْرَبُهُ وَكُنْتُ لا أَرْتَضي أَنْ أَشْرَبَ السُّحُبا

دَرِ اللَّيَــاليَ تَمْعَنْ في غَوَايَتِها فَقَدْ حَشَدتُ لَها الأَخلاقَ وَالعَرَبا

نَهْباء، لَو كانَتِ الأَحْلَامُ كَأسَ طِلا في رَاحَةِ الفَجْرِ كُنتِ الزَّهْرَ والحَبَبا

أوْ كانَ لِلَّيْلِ أَنْ يَخْتَارَ حِلْيَتَهُ وقَدْ طَلَعْتِ عَلَيْهِ ، لَازْدَرَى الشُّهُبا

لَوْ أَلَّفَ المَجْدُ سِفْراً عَنْ مَفاخِرِهِ لَرَاحَ يَكْتُبُ في عُنْوَانِهِ « حَلَبَا »

لَوْ أَنْصَفَ العَرَبُ الأَحْرارُ نَهْضَتَهُمْ لَشَيَّدُوا لَكِ في سَاحَاتِها النُّصُبا

لَـكِنْ خُلِقْتِ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ مَنْ يَعْشَقُ الذُّلَّ أَوْ مَنْ يَعْبُدُ الرُّتَبا

نَعْرَى البُطُولَةُ إِلَّا مِنْ عَقِيدَتِها والجُبْنُ أَكْثَرَ ما تَلْقَاهُ مُنْتَقِبا

مَلاعِبَ الصَّيدِ مِنْ «حَمْدَانَ» ما نَسَلُوا إِلَّا ٱلأَهِلَّةَ وَالأَشْبالَ والقُضُبا
أَلخالِعينَ على ٱلأَوْطانِ بَهْجَتَها والرَّافِعِينَ على أَرْماحِها ٱلقَصَبا
حُسامُهُمْ ما نَبا في وَجْهِ مَنْ ضَرَبُوا وَمُهْرُهُمْ ما كَبَا في إِثْرِ مَنْ هَرَبا
ما جَرَّدَ ٱلدَّهْرُ سَيْفاً مِثْلَ «سَيْفِهِمِ» يُجْرِي بِهِ ٱلدَّمَ أَو يُجْرِي بِهِ ٱلذَّهَبا
رَبُّ ٱلقَوافي عَلَى ٱلإِطْلاقِ شاعِرُهُمْ أَلخُلْدُ وٱلْمَجْدُ في آفاقِهِ ٱصْطَحَبا
سَيْفانِ في قَبْضَةِ الشَّهْباءِ لا ثُلِمَا قَدْ شَرَّفا ٱلعُرْبَ بَلْ قَدْ شَرَّفا ٱلأَدَبا

عُرْسٌ مِنَ ٱلجِنِّ في الصَّحْراءِ قَدْ نَصَبُوا لَهُ السُّرادِقَ تَحْتَ ٱللَّيْلِ وَٱلقُبَبا
كَأَنَّهُ تَدْمُرُ الزَّهْراءُ مَارِجَةً بِمِثْلِ لُسْنِ ٱلأَفاعِي تَقْذِفُ ٱللَّهَبا
أَوْ هَضْبَةٌ مِنْ خُرافاتٍ مُرَقَّعَةٌ بِأَعْيُنٍ مِنْ لَظًى أَوْ مِنْ رُؤُوسِ ظُبَى
تَخاصَرَ ٱلجِنُّ فِيهَا بَعْدَ ما سَكِرُوا وَبَعْدَ ما ٱحْتَدَمَتْ أَوْتارُهُمْ صَخَبا
فَأَفْزَعَ الرَّمْلَ ما زَفُّوا وَما عَزَفُوا فَطَارَ يَسْتَنْجِدُ ٱلقِيعَانَ وَالكُثُبا

. . . .

تَكَشَّفَ الصُّبْحُ عَنْ طِفْلٍ وَمارِدَةٍ لَهُ عَلَى صَدْرِها زَأْرٌ إِذا غَضِبا

كأنَّهُ الزِّئبقُ الرَّجْراجُ في يَدِها أَوْ خَفقَةُ البَرْقِ إمّا اهْتَزَ واضْطَرَبا
نَادَى أَبُوهُ — عَظِيمُ الجِنِّ — عِتْرَتَهُ فَأقْبَلُوا يَنْظُرُونَ البِدْعَةَ العَجَبا
مَاذا نُسَمِّيهِ ؟ . . قالَ البَعْضُ صاعِقَةً فَقَالَ كلاَّ . . . فقالُوا. عَاصِفاً — فَأَبى
فَقَامَ كالطَّوْدِ مِنْهُمْ مَارِدٌ لَسِنٌ وَقَالَ : لَمْ تُنْصِفُوهُ اسْماً وَلا لَقَبا
سَنَبْعَثُ الفِتْنَةَ الكُبْرَى على يَدِهِ فَنَشْغَلُ النَّاسَ والأَقْلامَ والكُتُبا
ونَجْعَلُ الشِّعْرَ رَبًّا يَسْجُدُونَ لهُ ؟ فَإِنْ غَوَوْا فَلَقَدْ نُلْنا بِهِ الأَرَبا
وَاخْتالَ غَيْرَ قَلِيلٍ ، ثُمَّ قالَ لَهُمْ سَمَّيْتُهُ : المُتَنَبِّي فَانْتَشَوْا طَرَبا
وَزَلْزَلُوا البِيدَ حَتَّى كادَ سالِكُها يَهْوِي بِهِ الرَّحْلُ لا يَدْرِي لهُ سَبَبا
يَرَى السَّرَابَ عُباباً هَاجَ زاخِرُهُ والرَّمْلَ يَلْتَحِفُ الأَزْهارَ والعُشُبا

إيهٍ أَخا الوَفْرَةِ السَّوْداءِ[1] كَمْ مَلِكٍ أَعاضَكَ التَّاجَ مِنْها . لَوْ بِها اعْتَصَبا

(١) ذكروا أنه عندما كان في المكتب قيل له ما أحسن هذه الوفرة ، وهي الشعر المتجمع على الرأس فقال :
لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقلٍ صعدة يعلها من كل وافي السبال

غَضِبْتَ لِلعَقْلِ أَنْ يَشْقَى(١) فَثُرْتَ لَهُ   بِمِثْلِ ما انْدَفَعَ البُرْكانُ واضْطَرَبا
هَلِ النُّبُوَّةُ(٢) إلاَّ ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ   على التَّقَالِيدِ حَتَّى تَسْتَحِيلَ هَبَا
ما ضَرَّ مُوقِدَها والخُلْدُ مَنزِلُهُ   إذَا رَمَى نَفْسَهُ في نَارِها حَطَبا

طَلَبْتَ بِالشِّعْرِ دُونَ الشِّعْرِ مَرْتَبَةً   فشاءَ ربُّك أَنْ لا تُدْرِكَ الطَّلَبا
إذَنْ لَأَثْكَلْتَ أُمَّ الشِّعْرِ واحِدَها   وعُطِّلَ الوَكْرُ، لاَ شَدْواً ولا زَغَبا
لَوْلا طِماحُكَ ما غَنَّيتَ قافِيَةً   بَوَّأْتَها الشَّمْسَ، أَوْ قَلَّدْتَها الحِقَبا
قَدْ يُؤْثِرُ الدَّهْرُ إنْسَاناً فَيَحْرِمُهُ   مَنْ يَمْنَعُ الشَّيءَ أَحْياناً فَقَدْ وَهَبا

أَبَا الفُتُوحَاتِ لَمْ تُزْجِ الخَمِيسَ لَها   وَلا لَبِسْتَ إلَيْها البِيضَ واليَلَبَا
تَأْتِي التُّخُومَ فَتَلْقَاها مُهَلِّلَةً   مِثْلَ المَرِيضِ، أَتاهُ بِالشِّفَاءِ نَبَا
ما الفَتْحُ أَهْدَى إلَيْكَ الرَّوْضَ والسُّحُبَا   كالفَتْحِ، جَرَّ عَلَيْكَ الوَيْلَ وَالحَرَبا
ولَو فَتَحْتَ بِحَدِّ السَّيْفِ لانْحَطَمَتْ   تِيجانُ قَوْمٍ، حَشَوْها الظُّلْمَ والرَّهَبا

(١ – ٢) إشارة إلى قوله : ذو العقل يشقى في النعيم بعقله، ثم إلى النبوة التي ادعاها .

ما كلُّ ما يَتَمَنّى ٱلمَرْءُ يُدْرِكُهُ » ويُدْرِكُ الغَايَةَ القُصْوَى وما طَلَبا
خُذْ ما تَرَاهُ ودَعْ شَيْئاً حَلَمْتَ بِهِ » فَرُبَّ حُلْمٍ جَمِيلٍ أَوْرَثَ العَطَبا

مُلْبِسَ ٱلحِكْمَةِ الغَرَّاءِ رَوْعَتَها حَتَّى هَتَفْنَا : أَوَحْياً قُلْتَ أَمْ أَدَبا
أَنَّما هِيَ أَصْـداءٌ يُرَدِّدُهَا هٰذَا إِذَا بَثَّ ، أَوْ هٰذا إذا عَتَبا
لَوا ٱستَبَاحَ أَرِسْطُو حِينَ أَعْجَزَهم وَإِنَّهُ ٱسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ النُّخَبا
هْلًا ، فَمَا ٱلدَّهْرُ إلاَّ فَيْضُ فَلْسَفَةٍ يَعُودُ بِالدُّرِّ مِنْهُ كلُّ مَنْ دَأَبا
نْ عَلَّمَ ٱبنَ أَبي سُلْمَى «حَكِيمَتَهُ» وَقُسَّ ساعِدَةَ ٱلْأَمْثَالَ وَالخُطَبا ؟

يا خَالِقاً جِيلَهُ ، لَوْلاكَ ما عَرَفَتْ لَهُ ٱلأَواخِرُ لَا رَأْساً وَلا ذَنَبَا
مَنْتُ بِالشِّعْرِ مُذْ أَنْشَاكَ آيَتَهُ وَكَانَ عَرْشاً مِنَ ٱلأَصْنامِ فَانْقَلَبَا
أَضْرَمْتَ ثَوْرَتَكَ ٱلهَوْجاءَ فَالتَهَمَتْ مِنَ القَرِيضِ ٱلهَشِيمَ الغَثَّ وٱلخَشَبا
وَغَالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الكَائِدِينَ لَهُ لِنَفْسِهِم حَفَرَتْ أَيْدِيهِم ٱلتُّرَبا
حَتَّى رَجَعْتَ وَلِلْأَقْلامِ هَلْهَلَةٌ في كَفِّ أَبْلَغَ مَنْ غَنَّى وَمَنْ طَرِبا

عفواً نبيَّ ٱلقوافي ، أيُّ نابغةٍ   لَمْ يزرعوا حولَهُ ٱلبُهتانَ والكَذِبَا
مَنَعْتَ عَنْهُمْ ضياءَ ٱلشَّمْسِ فانْحَجَبُوا   فَهَلْ تَلُومُهُمُ إنْ مَزَّقُوا ٱلحُجُبَا
لَمْ ألْقَ كالشِّعْرِ مَظْلوماً، فقَدْ حَشَدُوا   لِحَرْبِهِ ، حَسَدَ ٱلحُسَّادِ وٱلنُّوَبَا
يُرْمَى بِكلِّ قَبيحٍ مِنْ مَثَالِبِهِمْ   وَيَرْفَعُونَ لَهُ ٱلأَنصابَ إنْ ذَهَبا
مِثْلَ المَسيحِ تغالَوْا في أذيَّتِهِ   وأَلَّهُوهُ ، وَلَكِنْ بَعْدَما صُلِبا

قَالُوا ٱلجَدِيدُ فَقُلْنا أَنتَ حُجَّتُهُ   يَا وَاهِباً كلَّ عَصْرٍ كلَّ ما خَلَبَا
أفِكْرَةٌ لَمْ تَكُنْ فَتَقَّتَ بُرْعُمَها   وَجِدَّةٌ لَمْ تَكُنْ أُمًّا لَها وأَبا
بَعْضُ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذي يَدْعُونَهُ أَدَباً   يَمُوتُ في يَوْمِهِ ، هٰذا إذا وُهِبَا
إنْ لَمْ يَكُنْ لكَ حُسْنُ ٱلوَجْهِ تَعْرِضُهُ   فَقَدْ ظَلَمْتَ بِهِ أثوابَكَ ٱلقُشُبا

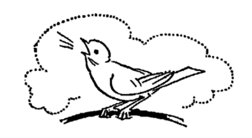
أتُسْعِدُ الرَّوضةُ الخَضْراءُ بُلْبُلَها   حتَّى يَفِي ٱلرَّوضَةَ «ٱلشهْبَاءَ» ما وَجَبَا
أيْقَنْتُ أنَّ «سَعيداً»(١) آخذٌ بِيَدِي   لَمَّا سَمَا بِي إلى «أُخْوَانِهِ» ٱلنُّجَبا

(١) محمد سعيد الزعيم أحد أركان لجنة التكريم .

أَتَيْتُهُم فَكَسَوني كُلَّ سابِغَةٍ وَكُنْتُ أَلْبَسُها لا تَبْلُغُ الرُّكَبا

. . . .

تيهاً «عَرُوسَةَ سُوريّا» فَقَدْ حَمَلَتْ لَكِ الْقَوافي عَلَى راياتِها الْغَلَبا



لبس الخريف بك الربيعا

ألقيت في المأدبة التي أقامها بعض أدباء حلب على أثر المهرجان .

لَبِسَ الخريفُ بكِ ٱلرَّبيعا وَمَحا عن ٱلورَقِ ٱلدُّمُوعا
أنَّى ٱلتَفَتُّ فَلَا أرَى إلاّ زُهُوراً أوْ شُمُوعَا
شَهْبَاءُ يا وَلَهَ ٱلزَّمَا نِ وَرَوْحَ شاعِرِهِ ٱلوَلُوعَا
قُسِمَ ٱلجَمَالُ على ٱلورى وَسُئِلْتِ فَاخْتَرْتِ ٱلوَدِيعا
ألنَّافِذَ ٱلْمُهَجَ ٱلصِّلا بَ كأنَّها مُلِئَتْ خُشُوعا

. .

يا رَوْضَةَ ٱلْأَدبِ ٱلبَدِيـ ـعِ وَحُصْنَ سُورِيَّا ٱلْمَنيعا
مَنْ كانَ كَوْكَبَهُ جَبِيـ ـنُكِ لَنْ يَزِلَّ وَلَنْ يَضِيعا



الفهرست

قصائد المرحلة الأولى

قصائد من الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد ذلك


Bibliotheca Alexandrina
0410578